تفسير

سورة الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

١-٢ . ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : قذف ومسخ وخسف -والله أعلم- ما سيكون[١] .

وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس ، قال : (ع) فيها عذاب . (س) فيها مسخ (قاف) فيها قذف ، يدل على هذا التفسير ما روي أنه لما نزلت هذه الآية عرفت الكآبة في وجه رسول الله ﷺ ، فسئل عن ذلك ، فقال : «أخبرت ببلاء ينزل على أمتي ؛ خسف ومسخ وريح تقذفهم في اليم»[٢] .

قال الكلبي عنه : أن علياً -رضي الله عنه- يعلم حساب الفتن بهذه الحروف[٣] ، وروى عكرمة عنه أنه قال لنافع بن الأزرق في هذه الآية ، (ح)

---

(١) لم أقف على هذه الرواية .

(٢) رواية أبي الجوزاء إلى آخر قوله في اليم . انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ١٠/ ٦٠أ ، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢٧١ أول الرواية إلى قوله : قذف .

(٣) ذكر ذلك الثعلبي ١٠/ ٦٠أ ، والقرطبي ١٦/ ٢ عن ابن عباس .

حلمه ، (م) مجده ، (ع) علمه ، (سين) سناؤه ، (ق) قدرته ، أقسم الله -عز وجل- بها[١] .

وقال صاحب النظم : علم الله في هذه السورة أن (حم) مثل (عسق) ، ويكون (حم) مبتدأ و(عسق) خبراً له ؛ أي إن الحروف المعجمة كلها في المعنى واحدة من حيث إنها كلها أس للسان ، فدل بهذا القول على أن كل ما جاء به من هذه الحروف في أوائل السور جاءت اسمًا للحروف ، وأنها كلها أس للبيان الذي به قامت الحجة على الخلق ، فيكون هذا كقولك : زيد أخوك في أن زيداً مبتدأ وأخاك خبره . هذا كلامه[٢] ، والأولى ما قدمنا ذكره عن ابن عباس ؛ لأنه لا يكون على ما ذكر صاحب النظم : كعين ، س ق يختص بالذكر من بين سائر الحروف ، والله أعلم بما أراد .

٣. قوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ قال ابن عباس : ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحي إليه حم عسق ، فذلك قوله : كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك[٣] ، وعلى هذا هذه الحروف أوحيت إلى الأنبياء كما أوحيت إلى محمد ﷺ ، وقال في رواية عطاء : يريد أخبار الغيب وما يكون قبل أن يكون أوحي إليك وإلى الذين من قبلك[٤] ، وعلى هذا لم يوح إلى الذين من قبل محمد ﷺ هذه الحروف بعينها ، وإنما أوحي أخبار الغيب كما أوحي إلى محمد ﷺ ، وأخبار الغيب التي تدل عليها هذه الحروف ، ومعنى (كذلك) ؛ أي كالوحي

---

(١) انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ١٠/ ٦٠/ أ . انظر : جامع البيان للطبري ١٣/ ٦ ، وزاد المسير ٧/ ٢٧١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢ .

(٢) لم أقف على هذا القول .

(٣) انظر : الكشف والبيان للثعلبي ١٠/ ٦٠ب ، وجامع البيان ١٣/ ٦ ، وتفسير البغوي ٧/ ١٨٤ ، وزاد المسير ٧/ ٢٧٢ ، والجامع للقرطبي ١٦/ ٣ .

(٤) ذكر ذلك في الوسيط : عن عطاء . انظر : ٤/ ٤٢ .

الذي تقدم يوحى إليك ، ويجوز أن يكون كهذا الذي يأتي في السورة ، وذكرنا بيان هذا عند قوله : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة :٢] ، والمعنى في التشبيه ما ذكرنا عن ابن عباس .

وقال أهل المعاني في التشبيه : إن بعضه كبعض[١] ما تضمن من الحجج والمواعظ والفوائد التي يعمل بها في الدين ، وقال صاحب النظم : معنى قوله ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ أن من تقدم من الأنبياء ممن أوحي إليهم الكتاب أوحي إليهم بهذه الحروف ؛ لأنها أس للبيان في كل أمة وبكل لسان ، وإن كان في بعضها اختلاف في الجرس واللفظ فمرجعها كلها إلى شيء واحد ، قال : وقد قيل : إن تمام الكلام عند قوله ﴿ كَذَٰلِكَ﴾ على تأويل أن حم عسق كذلك ؛ أي مثله ، ثم يبتدئ قوله : يوحي إليك الله العزيز الحكيم[٢] . وقرأ ابن كثير : يُوحَى بضم الياء وفتح الحاء وحجته قوله : ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ [الزمر :٦٥] ، وقوله : ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ [هود :٣٦] .

وقوله : ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ تبيين للفاعل كأنه قيل : من يوحي ؟ فقيل : الله . ومثله قوله : ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ﴾ [النور :٣٦] ، ثم قال : ﴿رِجَالٌ﴾ كأنه قيل : (من يسبح ؟) فقال : (يسبح رجال) ومثله :

لِيُبكَ يزيد ضارعٌ لخصُومَةٍ[٣]

---

(١) قال النحاس : كذلك الوحي الذي تقدم ، انظر : معاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٩٢ . وقال مكي : وحياً مثل ذلك يوحي الله إليك ، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٧٥ .

(٢) من قرأ : (كذلك نُوحي إليك) بالنون وكسر الحاء أو بالياء وفتح الحاء وقف على قوله : ﴿وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ ؛ لأن ما بعده غير متعلق بقوله : ﴿يُوحِىَ﴾ في كلا القراءتين . إذ هو مرفوع بالابتداء والخبر ، ومن قرأ بالياء وكسر الحاء لم يقف على ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ ؛ لأن ما بعده فاعل ﴿يُوحِىَ﴾ . انظر : إيضاح الوقت والابتداء لابن الأنباري ٢/ ٨٨٠ ، والقطع والائتناف للنحاس ٦٣٨ ، والمكتفى للداني ٥٠١ .

(٣) البيت : لنهشل بن حري من مرثية يرثي بها يزيد بن نهشل . انظر : الخزانة ١/ ١٤٧ . انظر : كتاب سيبويه وقد نسبه للحارث بن نهيك : ١/ ٢٨٨ ، وغير منسوب في المحتسب ١/ ٢٣٠ ، وانظر : شرح =

وقد مر ، وهذا قول الفرَّاء والكسائي والزَّجَّاج وأبي علي ، ومن قرأ يوحي على بناء الفعل للفاعل ، فإن اسم الله -عز وجل- يرتفع بفعله وما بعده مرتفع بالوصف[١] وموضع الكاف في كذلك نصب على قراءة العامة ورفع على قراءة ابن كثير[٢] .

٤-٥ . ثم عظم نفسه فقال : ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ، ولما قال : ﴿ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ، قال : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾ والكلام في القرآن ، وتفسير هذه الحروف قد تقدم في سورة مريم .

قال ابن عباس في رواية عطاء : تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن ، يريد من مقالة المشركين ، والمعنى تكاد السماوات كل واحدة منها تنفطر فوق التي تليها من قول المشركين : اتخذ الله ولداً[٣] ، نظيرها التي في آخر سورة مريم[٤] .

وقال أهل المعاني : تكاد السموات يتفطرن استعظاماً للكفر بالله والعصيان له [على جعوله على عباده[٥]] ، يدل على هذا قوله : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ ؛ أي ينزهونه عما لا يجوز في صفته ، وهذا راجع معناه إلى ما ابن عباس .

= أبيات سيبويه ٩٣ ، وعجزه :

ومُخْتَبِطٌ مما تُطيحُ الطوائحُ

(١) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦/ ١٢٦ ، وكتاب : التذكرة في القراءات لابن غلبون ٢/ ٦٦١ ، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢١ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج :٤/ ٣٩٣ .

(٢) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٧١ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٦٣٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٣ .

(٣) انظر : الكشف والبيان للثعلبي ١٠/ ٦٠ب ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٥ .

(٤) وهي قوله تعالى : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ [سورة مريم الآيتان : ٩٠-٩١] .

(٥) كذا في الأصل ، ولم أتبين معناها ، ولم أجد هذا القول في ما لدي من كتب المعاني .

وقال قتادة : يتفطرن من جلال الله وعظمته[١] ، قال أبو علي الفارسي : هذا يكون كقوله : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر :٢١] ، وكنحو هذا مما يراد به تعظيم الأمر[٢] ، وذلك أن جميع المخلوقات تخاف عظمة الله وسلطانه ، والسماوات تكاد تنشق هيبة له واستعظاماً ، وهذا معنى ما ذكره الزَّجَّاج[٣] .

قال مقاتل : يعني يتشققن[٤] من عظمة الرب الذي فوقهن .

وقال عكرمة عن ابن عباس : يتفطرن ممن فوقهن[٥] ، وهذا قول لا يوافقه اللفظ ؛ لأن قوله من فوقهن لا يفهم منه ممن فوقهن ، ووجه هذا القول على مخالفته اللفظ ما ذكرنا أنها تتشقق من عظمة من فوقهن بالاقتدار والقهر ، كما قال : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل :٥٠] .

قوله تعالى : ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ؛ أي يصلون لله بالحمد له ومذهب كثير من المفسرين أن كل تسبيح في القرآن صلاة . وقال عطاء عن ابن عباس : يتعجبون من جرأة الملحدين والمكذبين على الله ، والتسبيح يذكر في موضع التعجب كثيراً[٦] .

وقال أبو إسحاق : يعظمون الله وينزهونه عن السوء[٧] .

---

(١) انظر : جامع البيان للطبري ١٣/ ٧ ، والحجة لأبي علي ٦/ ١٢٨ .

(٢) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦/ ١٢٨ .

(٣) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج :٤/ ٣٩٤ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٤ ، وقال : وقرئت (ممن فوقهن) . ونسب الماوردي ٥/ ١٩٢ هذا القول لابن عباس . انظر : تفسير ابن عطية ١٤/ ٢٠٣ .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٤ ، ولم ينسبه .

(٧) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٤ .

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس : يستغفرون للمصدقين بالله وبرسوله[١] ، وقال مقاتل : يستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين ، وقد بيَّن ذلك في حم المؤمن في قوله[٢] : ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر :٧] ، وهذا من العموم الذي أريد به الخصوص ، وقال قتادة : لمن في الأرض ؛ أي للمؤمنين منهم[٣] ، وقال السدي : أي يسألون ربهم المغفرة لذنوب من في الأرض من أهل الإيمان[٤] .

قوله تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قال ابن عباس : يريد لأوليائه وأهل طاعته[٥] .

٦. قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ قال مقاتل : يعني كفار مكة اتخذوا آلهة يعبدونها من دون الله[٦] ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس : شاهد عليهم .

وقال الكلبي : حافظ على أعمالهم ليجازيهم بها[٧] .

قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ قال يقول : لم نوكلك بهم يا محمد لتؤخذ بهم ، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال[٨] .

---

(١) انظر : ذكر ذلك في الوسيط : عن ابن عباس . انظر : ٤/ ٤٣ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٣ .

(٣) ذكر ذلك في الوسيط عن قتادة . انظر : ٤/ ٤٣ .

(٤) انظر : تفسير الماوردي ٥/ ١٩٣ ، وغرائب التفسير عجائب التأويل للكرماني ٢/ ١٠٤٨ ، وزاد المسير ، وقد نسبه لقتادة والسدي ، انظر : ٧/ ٢٧٢ .

(٥) ذكر ذلك في الوسيط ولم ينسبه ، انظر : ٤/ ٤٣ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٤ .

(٧) قال في تنوير المقباس شهيد عليهم وعلى أعمالهم ٤٨٣ .

(٨) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٦ .

٧. قوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ؛ أي ومثل ذلك ما ذكرنا ، وقال بعض المفسرين : وهكذا وهو مذهب مقاتل في كذلك في جميع القرآن .

وقوله : ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ قال مقاتل : ليفهموا ما فيه[١] ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ قال أبو إسحاق : لتنذر أهل أم القرى ؛ لأن البلد لا يعقل[٢] ، كقوله : ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف :٨٢] ، قال الكلبي : أم القرى وأصل القرى يعني مكة سميت : أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها[٣] ، ونحو هذا قال مقاتل[٤] .

قال الكلبي : ويقال أم القرى : عظيمة القرى[٥] .

قال المبرِّد[٦] : وكانت العرب تسمي مكة أم القرى .

قوله : ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ قال مقاتل : يعني قرى الأرض كلها[٧] ، وقال المبرِّد : ومن يطيف به ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ قال ابن قتيبة : وتنذرهم يوم الجمع وهو يوم القيامة كما قال : ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف :٢] ؛ أي ببأس[٨] ، وقد حذف من الكلام المفعول الأول والجار كما يقال : يخوف أولياءه ؛ أي يخوفكم بأوليائه .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٤ .

(٢) انظر : معاني القرآن الكريم للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٤ .

(٣) ذكر ذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢ ولم ينسبه ، وكذلك ذكره المؤلف في الوسيط ٤/ ٤٣ ولم ينسبه .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٤ .

(٥) لم أقف عليه ، وقال النحاس : إنما قيل لها أم القرى لأنها أول ما عظم من خلق الله عز وجل ، أو لأنها أول ما وضع . انظر : معاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٩٥ .

(٦) لم أقف على قول المبرِّد .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٤ .

(٨) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩١ .

قال ابن عباس : يريد اليوم المشهود وهو يوم القيامة[١] .

قال مقاتل : يعني جمع أهل السموات وجمع أهل الأرض[٢] .

قوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ قال أبو إسحاق : أي يبعث الناس جميعاً[٣] ، وهذا معنى قول مقاتل ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ لاشك فيه في الجمع أنه كائن ثم بعد الجمع يتفرقون[٤] ، وهو قوله : ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ ثم لا يجتمعون أبداً ، والمعنى : فريق منهم في الجنة وفريق منهم في السعير ، كقولك : رأيت في الناس شقي وسعيد ، فيستأنف ويرفع ، هذا قول الفرَّاء[٥] ، قال ابن عباس : فريق في الجنة يتمتعون وينعمون ، وفريق في السعير يعذبون[٦] .

٨. ثم ذكر سبب افتراقهم ، فقال : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ فقال ابن عباس : على دين واحد[٧] ، قال مقاتل على ملة الإسلام وحدها[٨] ، وهذا كقوله : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [الأنعام :٣٥] فبين أنهم افترقوا بالمشيئة الأزلية ﴿ وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : في دينه الإسلام[٩] ﴿ وَٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الكافرون ﴿ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ ﴾ يدفع عنهم العذاب ﴿ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ يمنعهم من النار .

---

(١) لم أقف عليه منسوباً لابن عباس . انظر : تفسير الوسيط ٤/ ٤٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٦ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٤ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٤ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢ .

(٦) ذكر ذلك في الوسيط عن ابن عباس . انظر : ٤/ ٤٣ ، ٤٤ .

(٧) ذكر ذلك في الوسيط عن ابن عباس . انظر : ٤/ ٤٣ ، ٤٤ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٤ .

(٩) انظر : جامع البيان للطبري ١٣/ ١٠ ، وتفسير مقاتل ٣/ ٧٦٤ .

قال أبو إسحاق : ارتفع الظالمون بالابتداء وانتصب في قوله : يدخل من يشاء في رحمتــه والظالمين أعد لهم ؛ لأن بعده فعلاً فينصب الظالمين بفعل مضمر يفسره ما ظهر المعنى وأوعد الظالمين أعد لهم عذاباً أليماً[١] .

٩. قوله تعــالى : ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ قال ابن عباس : يريد وليك يا محمــد ووالي من اتبعك[٢] ، والمعنى : بل اتخذ الكفار من دون الله أولياء ، فالله وليكم ؛ أي الذي يلي نصركم .

١٠. قوله : ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس : يريد ما غاب عنك علمه فكله إلى الله ، وعلى هذا التفسير هذا الخطاب للنبي ﷺ ؛ لأنه إذا غــاب عنه علم شيء وكلــه إلى الله فيأتيه البيان من عند الله[٣] .

وقال الكلبي : ومــا اختلفتم فيه من شيء من الديــن فحكمه إلى الله يقضي فيه[٤] .

قال مقاتل : إن أهل مكة كفر بعضهم بالقرآن وآمن به بعضهم ، فقال الله إن الذي اختلفتم فإني أرد قضاءه إلي وأنا أحكم فيه[٥] ، وعلى هذا التفســير المعنى : أنــه يحكم بهذا فإن الحق معه ، وأنه يجب به الحمد والثواب ، وعلى الآخر بأنه على الباطــل الذي يجب بمثله الذم والعقاب ، وهذا الحكم بَيِّن في كتاب الله وهو مدح أوليائه وبيان ثوابهم وذم أعدائه وبيان عقابهم ، وقيل : على هذا التفســير إن هذا الحكــم الذي يحكم الله به في ما اختلف فيه العباد هــو الفصل الذي يزيل الريب

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٥ .

(٢) انظر : الكشاف ٣/ ٣٩٨ ، والجامع للقرطبي ١٦/ ٧ ، وتفسير الوسيط ٤/ ٤٤ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٧ .

(٤) انظر : جامع البيان للطبري ١٣/ ١٠ ، ١١ ، تفسير الوسيط ٤/ ٤٥ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٥ ، وبلفظ : (إن الذي اختلفتم فيه فإني . .) .

ويبطل الاختلاف[١] ، وهذا يكون يوم القيامة وهو عام في كل ما اختلف فيه العباد .

قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ فيه إضمار القول ؛ أي قل لهم ذلكم الله الذي يحيي ويميت ويحكم بين المختلفين هو ربي[٢] .

١١. قوله تعالى : ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ قال الكلبي : جعل لكم من مثل خلقكم نساء ومن الأنعام أزواجاً أصنافاً ذكوراً وإناثاً[٣] ، ونحو هذا قال مقاتل[٤] .

قال أبو إسحاق : أي جعل الذكر والأنثى من الحيوان كله[٥] .

قوله تعالى : ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ قال الكلبي : يكثركم في هذا التزويج[٦] ، ولولا هذا التزويج لم يكثر النسل ، والمعنى : يخلقكم في هذا الوجه الذي ذكر من جعله لكم أزواجاً ، وذلك أن سبب خلقنا وخلق غيرنا الأزواج ، فالكناية في قوله تعود إلى الجعل المراد بقوله : جعل لكم ، واختار الفرَّاء هذا القول ، ولكنه جعل (في) بمعنى : (الباء) ، فقال : معنى قوله ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ : به يقول جعل لكل شيء من الأنعام أزواجاً ليكثروا ولتكثروا[٧] .

---

(١) ذكر ذلك في تفسير الوسيط ٤/ ٤٥ .
(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٧ .
(٣) انظر : تنوير المقياس ٤٨٤ .
(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٥ .
(٥) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٥ .
(٦) انظر : تنوير المقباس ٤٨٤ .
(٧) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢ .

وقال أبو إسحاق : المعنى : يذرؤكم به ؛ أي يكثركم يجعله منكم ومن الأنعام أزواجاً[١] ، وهذا هو قول الفرَّاء واستدل لمن جعل في بمعنى الباء .

وأَرْغَبُ فِيهَا عن لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ ولـكِنَّني عـن سُنْبُسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ

معناه : أرغب بها عنهم[٢] ، ومعنى الـذرء : الخلق وإنما فسر هاهنا بالتكثير لأنه هو المراد ، ودلَّ عليه ذكر خلق الذكور والإناث ، وذلك سبب الكثرة والنماء ، وهذا معنى قول مجاهد في هذه الآية : نسل بعد نسل من الناس والأنعام[٣] .

وقال عبدالله بن مسلم : أي يخلقكم في الرحم[٤] ، وعلى هذا الكناية عن غير مذكور وليس هذا بالمرضي الجيد .

قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ قال ابن عباس : يريد ليس له نظير[٥] ، واختلـف العلماء في معنى الجمع بين حرفي التشـبيه هاهنا والواحد منهما في نفي التشـبيه ، وهو أن يقال ليـس كهو أو ليس مثله شيء ، فقال أبو إسـحاق : هذه الكاف مؤكدة المعنى : ليس مثله شيء[٦] .

وشرح أبـو الفتح الموصلي فقال : الكاف التي هي حرف جر قد تكون زائدة مؤكدة بمنزلـة الباء في خبر ليس ، وذلك نحو قولـه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ تقديره والله أعلم : ليس مثلـه شيء ولابد من زيادة الكاف ليصح المعنى ؛ لأنك إن لم تعتقد ذلك أثبت له عز اسـمه مثلاً وزعمت أنه ليس كالذي هو مثله شيء ، فيفسد هذا من وجهين :

---

(١) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٥ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (ذرأ) ١٥/ ٣٨٣ ، واللسان (ذرأ) ١/ ٧٩ ، ولم أقف على قائله .

(٣) انظر : تفسير الماوردي ٥/ ١٩٤ ، وتفسير مجاهد ٥٨٨ .

(٤) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩١ .

(٥) ذكر ذلك في الوسيط ٤/ ٤٥ عن ابن عباس ، ونسبه البغوي ٧/ ١٨٦ لابن عباس .

(٦) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٥ .

أحدهما : ما فيه من إثبات المثل له تعالى عن ذلك وعلا علواً عظيماً ، والآخر : أن الشيء إذا أثبت له مثلاً فهو مثل مثله ، لأن الشيء إذا ماثله شيء فهو أيضاً مماثل لما ماثله ، ولو كان ذلك كذلك على فساد اعتقاد معتقده لما جاز أن يقال : ليس كمثله شيء ؛ لأنه -تعالى- مثل لمثله وهو شيء ؛ لأنه -تعالى- قد سمى نفسه شيئاً ، يقول : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ ﴾ [الأنعام :١٩] ، وهذا كلمة[١] تؤكد أن في الكاف كمثله لابد أن تكون زائدة ، ومن ذلك أيضاً قول رؤبة :

لواحق الأقراب فيها كالمفق[٢]

المفق الطول ، ولا يقال في الشيء كالطول إنما يقال فيه طول[٣] ، وذكر أصحابنا أجوبة في هذه الآية ؛ أحدها : أن المثل هاهنا صلة والمعنى : ليس كهو ، والمثل قد يكون صلة في الكلام كما يقال : مثلي لا يفعل ذلك يريد أنا ، وعلى هذا ينشد :

مثلي لا يقبلُ من مثلكا

أي أنا لا أقبل منك .

---

(١) كذا في الأصل وفي سر صناعة الإعراب (فهذا كله يؤكد عندك أن الكاف في كمثله ١/ ٢٩١ .

(٢) لرؤبة بن العجاج وصدره قوله :

قب منَ التعداءِ حقب في سرقِ

ومعنى لواحق الأقراب : خماص البطون . والمفق : الطول . الديوان ١٠٦ ، واللسان (مثل) ١١/ ٦١٠ ، ومعاني الحروف للرماني ٥٠ ، والمسائل العضديات لأبي علي الفارسي ٢١٩ .

(٣) انظر : المسائل العضديات لأبي علي ٢١٩ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٩١ .

والثاني : أن التشبيه يحصل في كلام العرب بحرفين الكاف والمثل ، فجمع الله -تعالى- في هذا اللفظ بين حرفي التشبيه ، ونفى بهما عن نفسه التشبيه على جهة التأكيد والتحقيق ، وهذه عادة العرب[١] ، قال :

سَعْدُ بنُ زَيْدٍ إِذَا أَبْصَرْتَ فَضْلَهُمُ

ما إن كمِثْلِهِم في النَّاسِ مِن أحَدِ[٢]

قوله : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ قال ابن عباس : السميع لما يقال البصير لأعمال الخلق[٣] .

وقال أهل المعاني : لما نفى أن يكون له شبه على وجه من الوجوه بين أنه مع ذلك سميع بصير كيلا يتوهم نفي هاتين الصفتين له .

١٢. قوله تعالى : ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس : يريد مفاتيح [الأرض][٤] في السماوات والأرض .

قال الكلبي : مقاليد السماوات خزائن المطر ، وخزائن الأرض النبات[٥] .

قال ابن قتيبة : مقاليدها مفاتيحها ومالك المفاتيح مالك الخزائن[٦] .

---

(١) انظر : معاني الحروف للرماني ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، وحروف المعاني للزَّجَّاج ٣ ، والجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، وتفسير الطبري ١٣/ ١٢ ، وتفسير ابن عطية ١٤/ ٢٠٧ ، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩١ .

(٢) لم أقف على قائل هذا البيت ، وقد ورد عند الطبري في تفسيره ١٣/ ١٣ ، وذكره المرادي في الجنى الداني ٨٩ ، وفي تفسير ابن عطية ١٤/ ٢٠٧ ، وفتح القدير ٤/ ٥٢٨ .

(٣) ذكر ذلك في الوسيط : ولم ينسبه . انظر : ٤/ ٤٥ .

(٤) كذا في الأصل وفي تفسير الوسيط : (مفاتيح الرزق) . انظر : الوسيط ٤/ ٤٥ عن ابن عباس .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٤٨٤ .

(٦) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩١ .

والمعنى : أنه يقدر على فتحها ليس أن هناك مقاليد ولكن هذا كما يقال : مفتاح هذا الأمر بيد فلان هو يملك فتحه في المقاليد .

قوله تعالى : ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ ؛ لأن مفتاح الرزق بيده ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من البسط والقدر ﴿عَلِيمٌ﴾ قاله الكلبي[١] .

١٣. قوله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ ؛ أي نهج وبين وأوضح ، قال ابن الأعرابي : شرع أي أظهر . قال : وقوله : ﴿شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى :٢١] قال : أظهروا لهم .

وقال ابن السكيت : مصدر شرعت الإهاب إذا شققت بين الرِّجلين وسلخته ، فمعنى شرع بيِّن وأوضح مأخوذ من شُرِعَ الإهاب إذا شق ولم يُزقق[٢] ولم يُرجل[٣] ، وهذا مما تقدم بيانه ، والمفسرون قالوا سن ونهج[٤] .

قوله : ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ قال ابن عباس : يريد التوحيد والإسلام والبراءة من الشرك[٥] .

---

(١) انظر : تنوير المقباس ٤٨٤ .

(٢) انظر قولي ابن الأعرابي وابن السكيت في : تهذيب اللغة للأزهري (شرع) ١/ ٤٢٥ اللسان (شرع) ٨/ ١٧٦ .

(٣) قال اللحياني : كبش مَزْقُوق ومُزَقق للذي يسلخ من رأسه إلى رجله ، فإذا سلخ من رجله إلى رأسه فهو مَرْجُول ، وقال أبو عبيد عن الفرَّاء : الجلد المرجل الذي يسلخ من رجل واحدة والمزقق الذي يسلخ من قبل رأسه ونحو ذلك ، انظر : تهذيب اللغة (زق) ٨/ ٢٦٢ .

(٤) انظر : تفسير الماوردي ٥/ ١٩٦ ، والبغوي ٧/ ١٨٦ ، والقرطبي ١٦/ ١٠ .

(٥) ذكر ذلك البغوي ٧/ ١٨٧ ، وابن الجوزي ٧/ ٢٧٦ من غير نسبة أيضاً .

وقوله : ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ أي وشرع الذي أوحينا إليك (و) شرع لكم ﴿وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ قال مقاتل : فيها تقديم[١] وتأخير يعني أن ذكر إبراهيم مقدم في المعنى على قوله والذي أوحينا إليك .

ثم فسر ما وصى به هؤلاء ، فقال : ﴿أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ قال أبو إسحاق : موضع (أن) يجوز أن يكون رفعاً على معنى ، هو : أن أقيموا الدين ، ويجوز أن يكون نصباً على معنى : شرع لكم ولمن قبلكم إقامة الدين وترك الفرقة ، ويجوز أن يكون خبراً على البدل من الباء في قوله : ما وصى به كأنه قيل بأن أقيموا الدين[٢] ، قال مقاتل : يعني التوحيد[٣] ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ يقول : لا تختلفوا في التوحيد .

وقال مجاهد : يعني شرع لكم ولمن قبلكم من الأنبياء ديناً واحداً وهو التوحيد[٤] ، وهذا هو الصحيح في تفسير الآية .

وذكر قوم من المفسرين أن الآية شاملة للإيمان وفروعه من الطاعات .

وقال قتادة : الحلال والحرام[٥] .

وقال الحكم[٦] : يعني تحريم الأمهات والبنات والأخوات ونوح كان أولى ممن جاء بهذا ، وقال الكلبي : إن الله لم يبعث رسولاً إلا أوصاه بإقامة الصلاة

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٥ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٦ ، وتفسير ابن عطية ١٤/ ٢٠٩ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٥ .

(٤) انظر : تفسير مجاهد ٥٨٨ ، وتفسير الطبري ١٣/ ١٥ ، وتفسير البغوي ٧/ ١٨٦ ، والدر المنثور ٧/ ٣٣٩ .

(٥) انظر قول قتادة في انظر : تفسير الماوردي ٥/ ١٩٦ ، وتفسير البغوي ٧/ ١٨٧ ، والجامع ١٦/ ١١ .

(٦) الحكم بن عمرو بن مجدع الغفاري ، صحابي له رواية ، وحديثه في البخاري وغيره ، صحب النبي ﷺ إلى أن مات ، وانتقل إلى البصرة في أيام معاوية ، وتوفي سنة ٤٥ هـ ، وقيل ٥٠ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ٢/ ٤٣٦ ، والإصابة ٢/ ٢٩ ، وانظر : قوله هذا في : الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١١ .

وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة[١] في كل شيء ، والاختيار : القول الأول لقوله : ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ قال ابن عباس : يريد توحيد الله والإخلاص له وحده لا شريك له[٢] ، وقال مقاتل : عظم على المشركين ما تدعوهم إليه من التوحيد لقولهم : ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص :٥] .[٣]

ثم خص أولياءه فقال قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ قال ابن عباس : يصطفي من عباده[٤] ، وقال مقاتل : يستخلص لدينه من يشاء ﴿وَيَهْدِىٓ﴾ لدينه ﴿مَن يُنِيبُ﴾ يعني من يراجع التوبة ، وقال السدي : من يقبل إلى طاعة الله[٥] ، وقال عطاء : من اتبع دينه[٦] .

١٤. ثم ذكر تفريقهم بعد الإيصاء بترك الفرقة فقال : ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ قال ابن عباس : يعني المشركين واليهود والنصارى[٧] كان المشركون يتمنون أن يبعث إليهم نبي كما قال الله تعالى : ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ [فاطر :٤٢] ، وكانت اليهود يستفتحون بمحمد ﷺ لأنهم علموا ببعثته وصفته وصدقه وأمانته[٨] ،

---

(١) أورد ذلك البغوي : في تفسيره ٧/ ١٨٧ ، والقرطبي في الجامع ١٦/ ١١ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٤٨٤ ، وتفسير الوسيط ٤/ ٤٦ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٥ ، ٧٦٦ .

(٤) ذكر ذلك البغوي ٧/ ١٨٧ ولم ينسبه ، وذكره ابن الجوزي ٧/ ٢٧٧ ولم ينسبه .

(٥) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١٦ عن مجاهد والسدي ، ونسبه لهما الماوردي ٥/ ١٩٧ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ١٦ ، وتفسير الماوردي ٥/ ١٩٧ .

(٧) ذكر البغوي ٧/ ١٨٧ عن ابن عباس بلفظ : أهل الأديان ، وكذا ذكره بهذا اللفظ ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢٧٧ . وقال القرطبي في الجامع ١٦/ ١٢ : فالمشركون قالوا : لم يخص بالنبوة ، واليهود حسدوه لما بعث ، وكذا النصارى .

(٨) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٢ .

وقال الزَّجَّاج : وما تفرقوا إلا عن علم أن الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك للبغي[١] .

قوله تعالى : ﴿بَغْيَۢا بَيْنَهُمْ﴾ قال : يريد بغياً بينهم على محمد ﷺ قوله عز وجل : ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ في تأخير المكذبين من هذه الأمة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني يوم يقضي بينهم بين من آمن وبين من كفر يعني : لنزل العذاب بالمكذبين في الدنيا ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني : اليهود والنصارى[٢] ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد الأنبياء ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ قال ابن عباس : لفي شك من محمد ﷺ[٣] ﴿مُرِيبٍ﴾ .

١٥. وقوله : ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾ قال الفرَّاء والزَّجَّاج : معناه فإلى ذلك التوحيد فادع ، كما تقول : دعوت إلى فلان ولفلان[٤] .

قال ابن عباس : ادع إلى طاعة الله وتوحيده[٥] .

وقال مقاتل : ادع إلى معرفة ربك التوحيد[٦] ، وذلك إشارة إلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد .

قوله تعالى : ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ قال ابن عباس : بالتوحيد[٧] كما قال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت : ٣٠] ، والمعنى : استقم على الدين

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ١٧ ، وتفسير البغوي ٧/ ١٨٧ ، وزاد المسير ٧/ ٢٧٨ .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٧/ ١٨٧ ، وزاد المسير ٧/ ٢٧٨ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه : للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٦ .

(٥) ذكر القرطبي ١٦/ ١٣ عن ابن عباس بلفظ (أي إلى القرآن فادع الخلق) .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٦ .

(٧) ذكر ذلك مقاتل في تفسيره ٣/ ٧٦٦ ، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير لمقاتل . انظر : ٧/ ٢٧٨ .

الذي أمرت به يدل على هذا قوله : ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ وقد قال في سورة هود : ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود :١١٢] ، وقد مرَّ .

ومعنى (لا تتبع أهواءهم) قال ابن عباس : يريد أهواء أهل الكتاب[١] .

قال مقاتل : وذلك حين دعوهم إلى دينهم[٢] لهم ﴿ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ ؛ أي آمنت بكتب الله كلها . قال ابن عباس : وهذا تعليم وأدب من الله تعالى لرسوله[٣] .

قال أبو إسحاق : وذلك أن الذين تفرقوا آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض[٤] .

﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ وهذا كقوله : ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ [الأنعام :٧١] ، وقد مر ، قال ابن عباس : أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم في الأحكام إذا ترافعوا إليه لم يكذبهم شيئاً لا يلزمهم ، وذكر أيضاً عن ابن عباس أن معنى هذا العدل بين أهل الكتاب أن نؤمن بأنبيائهم وكتبهم جميعاً ، وهذا معنى قول أبي العالية[٥] ، وقال مقاتل : عدله بينهم أن يدعوهم جميعاً إلى التوحيد وإلى دين الله[٦] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٦ ، وانظر : زاد المسير ذكر هذا المعنى ولم ينسبه ٧/ ٢٧٩ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٦ ، وبلفظ : وذلك حين دعاه أهل الكتاب إلى دينهم .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه : للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٦

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ١٧ ، وتفسير البغوي ٧/ ١٨٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٣ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٧ .

وقولـــه : ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ الله وإن اختلفت أعمالنـــا فكل بما عمل ، وهو قوله : ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ ، وقال مقاتل : لنا ديننا ولكم دينكم[١] ، قال الكلبي : وهذا قبل الأمـــر بالقتال[٢] .﴿لَا حُجَّةَ﴾ وقل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ قال مقاتـــل : يعني : لا خصومة بيننا وبينكم في الدين نســـختها آية القتال[٣] ، ونحو هذا قال مجاهد وابن زيد لا خصومة ، والمعنى : قد ظهر الحق فسقط الجدال[٤] .

وقال أهل المعاني : لا حجة بيننا وبينكم لظهور أمركم أنه على ســـبيل البغي والعداوة[٥] ، وعلى طريق الشبهة وليس ذلك على طريق جهة تحريم إقامة الحجة ؛ لأنه لا يلزم قبـــول الدعوة إلا بالحجة التي يظهر بها الحق مـــن الباطل فإذا صار الإنســـان إلى طريق البغي والعداوة سقط الحجاج بين أهل الحق والباطل ، وعلى قول المفسرين الحجة بمعنى الخصومـــة[٦] ، وذكرنا وجه ذلك عند قوله : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ [البقرة : ١٥٠] ، وإذا لم يؤمر النبي ﷺ بالقتال وأمر بالدعوة لم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة ولا قتال ، وعلى ما ذكره أهل المعاني الحجة ليســـت بمعنى الخصومة ، وإنما هي التي يظهر بها الحق مـــن الباطل ، ثم ذكر أن مصير الفريقين إلى الله فيجازي كلا بعمله وهو قوله : ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ .

١٦. قوله تعـــالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾ ؛ أي يخاصمون في دين نبيه ، قال قتادة : هم اليهـــود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٧ .

(٢) انظر : الناسخ والمنســـوخ للنحاس ٢/ ٦١٤ ، والإيضاح لمكي ٣٥٠ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ٤٤٩ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٧ .

(٤) انظر : الناسخ والمنســـوخ للنحاس ٢/ ٦١٤ ، والإيضاح لمكي ٣٥٠ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ٤٤٩ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (حج) ٣/ ٣٩٠ ، واللسان (حجج) ٢/ ٢٢٨ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ١٨ ، وتفسير الماوردي ٥/ ١٩٩ ، وتفسير ابن عطية ١٤/ ٢١٢ .

خير منكم فهذه خصومتهم[١] ، وإنما قصدوا بذلك دفع ما أتى به محمد ﷺ .

قوله تعالى : ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ ﴾ قال ابن عباس : بعدما وحدوا وشهدوا لله بالوحدانية[٢] .

وقال مقاتل : من بعد ما استجيب لله في الإيمان[٣] .

وقال مجاهد : بعد ما دخل الناس في الإيمان ، قال : وطمع رجال فأرادوا أن يردوا من الجاهلية وظنوا أنها تعود[٤] ، فقال الله تعالى : ﴿ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ قال مقاتل : خصومتهم باطلة حين زعموا أن دينهم أفضل من الإسلام[٥] .

﴿ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ ﴾ قال ابن عباس : يريد في الدنيا[٦] .

﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴾ في الآخرة ، والقول في الآية نزلت في اليهود[٧] .

---

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ١٩ عن قتادة ، ونسبه البغوي ٧/ ١٨٨ لقتادة .

(٢) قال الثعلبي في تفسيره : أي استجاب له الناس وأسلموا ودخلوا في دينه ؛ لظهور معجزته وقيام حجته ، ولم ينسبه . انظر : ١٠/ ٦٣ب .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٧ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ١٩ ، وفقد أخرج ذلك عن مجاهد ، ونسبه القرطبي لمجاهد . انظر : الجامع ١٦/ ١٤ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٧ .

(٦) ذكر ذلك القرطبي ١٦/ ١٥ ولم ينسبه .

(٧) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ١٩ عن ابن عباس . انظر : تفسير الثعلبي ١٠/ ٦٣٧ب ، وتفسير ابن عطية ١٤/ ٢١٢ .

١٧. قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ قال ابن عباس: القرآن بالحق، قال يريد بالعدل[١]، في ما بين خلقه والفرائض والأمر والنهي والحلال والحرام، وهذا كله حق من الله -تعالى- ضمن بيانه القرآن، والميزان. قال قتادة ومجاهد: العدل[٢]، وعلى هذا سمي العدل ميزاناً؛ لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية بين الخلق، والدليل على أن المراد بالميزان هاهنا العدل والنصفة أن ابن عباس قال في تفسير الميزان هاهنا: أمر الله -تعالى- بالوفاء ونهى عن البخس[٣].

وقال آخرون: ومعنى وأنزل الميزان: ألهم العباد العمل به[٤]، وأمر بالعدل، فلما أمر بالعدل ألهمهم اتخاذ آلة وكان الميزان، فلما كان الأمر بالعدل مُنزلاً كان ما اتخذ له مُنزلاً أيضاً[٥]؛ لأنه اتخذ الأمر المنزل بالعدل، وسنذكر لهذا زيادة شرح وبيان عند قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥] إن شاء الله.

قال مقاتل: وذكر النبي ﷺ الساعة عند قوم من المشركين فقالوا: متى تكون الساعة تكذيباً بها فأنزل الله[٦]: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾، وذكرنا ما في هذا في آخر سورة الأحزاب [آية: ٦٣].

---

(١) ذكر ذلك ابن الجوزي ونسبه لابن عباس، وقتادة والجمهور. انظر: ٧/ ٢٨٠، ونسبه القرطبي لابن عباس، وأكثر المفسرين. انظر: ١٦/ ١٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٣/ ٢٠، وتفسير الماوردي ٥/ ٢٠٠، وتفسير ابن عطية ١٤/ ٢١٣.

(٣) انظر: تفسير البغوي ٧/ ١٨٨، والقرطبي ١٦/ ١٥، وتفسير الوسيط ٤/ ٤٨.

(٤) انظر: زاد المسير ٧/ ٢٨٠، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٥.

(٥) ذكر ذلك البغوي ٧/ ١٨٨، ونسبه لقتادة ومجاهد ومقاتل. انظر: مجاز القرآن للعز ابن عبدالسلام ٢١٣، ٣١١.

(٦) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٧، وتفسير البغوي ٧/ ١٨٨.

وقال أبو إسحاق : إنما جاز قريب ؛ لأن تأنيث الساعة غير حقيقي ، وهو بمعنى : لعل البعث قريب ، قال ويجوز أن يكون لعل مجيء الساعة قريب[١] ، ونحو هذا قال الكسائي[٢] .

١٨. قوله تعالى : ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾ ؛ أي الساعة ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ ؛ أي من يظن أنه غير مبعوث ، قال مقاتل : لأنهم لا يخافون ما فيها[٣] .

وقال أهل المعاني : وجه استعجالهم بالساعة طلبهم المطالعة لقيامها على طريق التعجيز للإتيان بها ، وهذه طريقة الجهال في كل ما يحدثونه من حقائق الأمور[٤] .

قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ قال مقاتل : لأنهم لا يدرون ما يهجمون منها[٥] .

وقال أبو إسحاق : لأنهم يعلمون أنهم مبعوثون محاسبون[٦] .

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ قال ابن عباس : أنها آتية لا ريب فيها[٧] .

ثم ذكر الذين لا يؤمنون بها فقال : ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾ قال ابن عباس : يكذبون بقيام الساعة[٨] ﴿لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ قال أبو إسحاق : أي

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٦ .

(٢) ذكر ذلك القرطبي في الجامع ونسبه للكسائي ، انظر : الجامع ١٦/ ١٥ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٨ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٨ ، ونص العبارة عند مقاتل : «لأنهم لا يدرون على ما يهجمون منها» .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٧ .

(٧) ذكر ذلك البغوي : ولم ينسبه ، انظر : البغوي ٧/ ١٨٨ ، وذكره ابن الجوزي بلفظ : أي إنها كائنة لا محالة ، ولم ينسبه . انظر : ٧/ ٢٨٠ .

(٨) ذكر أكثر المفسرين أن المعنى : يخاصمون في قيام الساعة ولم ينسبوه . انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٢٠ ، وتفسير الثعلبي ١٠/ ٦٣ب ، وتفسير البغوي ٧/ ١٨٩ ، وزاد المسير ٧/ ٢٨٠ .

الذين يدخلهم المرية والشك في الساعة فيمارون فيها ويجحدون كونها[١] ﴿لَفِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ ؛ لأنهم لو فكروا لعلموا أن الذي أنشأهم وخلقهم من تراب ثم من نطفة إلى أن بلغوا مبالغهم ، قادر على إنشائهم وبعثهم[٢] ، فهذا معنى ضلالهم .

١٩. قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ ذكرنا معنى اللطيف عند قوله : ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف :١٠٠] ، قال ابن عباس وغيره : حفي بار رفيق بهم[٣] . قال عطاء : يريد بأوليائه[٤] .

وقال مقاتل : لطيف بالبر والفاجر لا يهلكهم جوعاً[٥] ، يدل على هذا قوله : ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ فكل من رزقه الله من مؤمن وكافر وذي روح ، فهو ممن شاء أن يرزقه ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾ على ما أراد ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ المنيع في ملكه ، ومعنى ذكر القوي العزيز هاهنا : أنه قوي على رزق كل من أراد رزقه ، العزيز فلا يغالب في ما لا يريد أن يعطي ويرزق .

٢٠. قوله تعالى : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ الحرث العمل للدنيا والآخرة ، ومنه قول ابن عمر : «احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واحرث لآخرتك كأنك تموت غداً»[٦] ، معناه العمل

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٧ .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٧ .

(٣) قال الثعلبي في تفسيره ١٠/ ٦٣ب : قال ابن عباس : حفي بهم وقال عكرمة : بار بهم ، وقال السدي : رفيق بهم ، ونسبه إليهم أيضاً البغوي ٧/ ١٨٩ ، وكذلك نسبه القرطبي ١٦/ ١٦ لمن ذكر .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٨ ، وتفسير البغوي ٧/ ١٨٩ ، والقرطبي ١٦/ ١٦ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (حرث) ٤/ ٤٧٨ ، والنهاية لابن الأثير (حرث) ١/ ٣٥٩ ، واللسان (حرث) ٢/ ١٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٨ ، وأورده ابن قتيبة في غريب الحديث ونسبه لعبدالله بن عمرو ٢/ ١٢٢ ، ونسبه القرطبي لعبدالله بن عمر ، وأشار إليه ابن الجوزي في غريب الحديث ١/ ١٩٩ .

لهما ، ومعنى الحرث في اللغة : الكسب[١] ، يقال هو : يحرث لعياله ويحترث ؛ أي يكتسب .

قال ابن عباس : من كان يريد العمل لله ما يحب الله ويرضيه ، نزد له في حرثه يقول أعينه على عبادتي وأسهل له[٢] . وعلى هذا القول معنى الآية : من كان يريد أن يعمل للآخرة ويسعى لها سهَّلت ذلك عليه وأعناه ، فمعنى الزيادة للحرث هو التوفيق والتسهيل[٣] ، وقال آخرون : نزد له في حرثه بالتضعيف[٤] ، وهو قول مقاتل قال : يعني في عمله حين يضاعفه[٥] ، وعلى هذا قوله في حرثه مصدر أريد به المفعول ؛ لأنه إنما يضاعف له ما عمل .

قوله تعالى : ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ ؛ أي من كان يسعى لدنياه وآثرها على آخرته ، نؤته وما له في الآخرة يقول الله نؤته منها ، قال ابن عباس : يقول أبسط له الرزق في الدنيا ، وأوسع عليه ، وادفع عنه الأسقام[٦] ، وقال قتادة : نؤته منها بقدر ما يقسم له[٧] .

وقال مقاتل[٨] : هذا منسوخ بقوله : ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء :١٨] يعني أن الكافر إذا سعى لدنياه ، وأعرض عن عمل

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (حرث) ٤/ ٤٧٨ ، واللسان (حرث) ٢/ ١٣٤ ، ومفردات الراغب (حرث) :١١٢ .

(٢) ذكر ذلك في تفسير الوسيط ٤/ ٤٩ عن ابن عباس .

(٣) انظر : زاد المسير ٧/ ٢٨١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٨ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٢٠ ، وزاد المسير ٧/ ٢٨١ ، والجامع ١٦/ ١٨ .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٨ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) ذكر ذلك البغوي ٧/ ١٨٩ ونسبه لقتادة ، ونسبه في الوسيط ٤/ ٤٩ لقتادة .

(٨) قال ابن الجوزي في زاد المسير : اتفق العلماء على أن أول هذه الآية إلى ﴿حَرْثِهِۦ﴾ محكم ، واختلفوا في باقيها على قولين ؛ أحدهما : أنه منسوخ بقوله : ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء :١٨] ، =

الآخرة لا يعطى كل ما يريد من الدنيا وإن كان قد قال في هذه الآية نؤته منها مطلقاً ؛ لأنه قيد في الآية التي في سورة بني إسرائيل فقال : ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ [الإسراء :١٨] .

وقال الكلبي في قوله : ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ قال : لأنه عمل لغير الله[١] ، ويدخل في هذا المرائي الذي لا يخلص عمله لله ويرائي الناس بأعمال الآخرة فلا نصيب له في ثواب ما عمل مرائياً ويكون أمره مفوضاً إلى المشيئة ، والظاهر أنه يعني هذا الكافر ، وهو قول مقاتل يدل عليه قوله : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا﴾ قال مقاتل : يعني كفار مكة يقول ألهم آلهة سنُّوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله[٢] .

قال ابن عباس : شرعوا لهم ديناً غير دين الإسلام[٣] .

وقال الكلبي : أظهروا لهم ما لم يأمر به[٤] الله .

٢١. قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ قال ابن عباس : يريد حيث يفصل بين الخلائق أنه يعذب كفار هذه الأمة[٥] .

= وهذا قول جماعة منهم مقاتل . والثاني : أن الآيتين محكمتان متفقتان في المعنى ؛ لأنه لم يقل في هذه الآية : نؤته مراده فعلم أنه إنما يؤتيه الله ما أراد ، وهذا موافق لقوله : ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ ، ويحقق هذا أن لفظ الآيتين لفظ الخبر ومعناهما معنى الخبر ، وذلك لا يدخله النسخ ، وهذا مذهب جماعة منهم قتادة . انظر : زاد المسير ٧/ ٢٨١ ، ٢٨٢ ، وعلى هذا أيضاً النحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٦١٦ ، ومكي في الإيضاح ٣٥١ ، وانظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٨ .

(١) انظر : تنوير المقباس ٤٨٥ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٨ .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٧/ ١٩٠ ، وتفسير الوسيط : عن ابن عباس ٤/ ٤٩ .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٤٨٥ .

(٥) لم أقف عليه .

وقال مجاهد : لولا كلمة الفصل أنهم أخروا إلى يوم القيامة[١] ، وهو قول الكلبي ومقاتل[٢] فالمعنى : أن الله تعالى حكم في كلمة الفصل بين الخلق أنه يعذب كفار هذه الأمة في الآخرة ، ولا يعذبهم في الدنيا بعذاب عام كما عذب من قبلهم كما قال : ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ [يونس :١٩] .

٢٢. قوله تعالى : ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ قال أبو علي : هذا من حذف المضاف تقديره : وجزاؤهم واقع بهم[٣] .

٢٣. وقوله : ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ﴾ يعني ما تقدم ذكره من روضات الجنات والعائد إلى الموصول محذوف والتقدير : يبشر الله به[٤] قرابة ، فقال : إلا أن تصلوا في ما بيني وبينكم قرابة[٥] .

وقال عكرمة : إلا أن ترعوا ما بيني وبينكم[٦] .

وروى ابن أبي نجيح[٧] ، عن مجاهد : إلا أن تتبعوني وتصدقوني وتصلوا رحمي[٨] .

---

(١) انظر : تفسير مجاهد ٥٨٩ .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٤٨٥ ، وتفسير مقاتل ٣/ ٧٦٨ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير الوسيط ٤/ ٥٠ ، والدر المصون ٦/ ٨٠ .

(٥) أخرج ذلك البخاري عن طاوس . انظر : فتح الباري كتاب التفسير ، باب إلا المودة في القربى ٨/ ٥٦٤ . وأخرجه أيضاً الطبري ١٣/ ٢٣ ، وانظر : الصحيح المسند من أسباب النزول ١٢٣ .

(٦) انظر : تفسير البغوي ٧/ ١٩١ ، وتفسير الوسيط ٤/ ٥٠ .

(٧) عبدالله بن أبي نجيح المكي صاحب التفسير أخذ عن مجاهد وعطاء ، قال ابن المديني : أما الحديث ؛ فهو فيه ثقة ، وكان يرى الاعتزال . انظر : الكامل في التاريخ ٤/ ٣٤٠ ، وميزان الاعتدال ٢/ ٥١٥ .

(٨) أخرجه الطبري عن مجاهد . انظر : تفسيره ١٣/ ٢٤ ، وتفسير البغوي ٧/ ١٩١ .

وقال قتادة : قل لا أســألكم أجراً على هذا الــذي جئتكم به إلا أن توادوني بقرابتي ، قال : وكل قريش بينهم وبين رسول الله ﷺ قرابة[١] .

وقال مقاتل : قل لا أســألكم على الإيمان أجراً إلا أن تصلوا قرابتي وتمنعوني وتكفوا عني الأذى[٢] ، ونحو هذا قال ابن مالك والســدي وابن زيد وهو رواية عن عطــاء عن ابن عباس ، قال : يريــد إلا أن تؤدوه لقرابــة نبيكم يعني محمداً ﷺ[٣] .

والقــول الثاني : ما رواه الكلبي عن ابن عباس ، قال : أن رســول الله ﷺ لما قدم المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس في يده سعة ؛ لذلك قالت الأنصار : إن هذا الرجل هداكم الله على يده ، وهو ابن أخيكم وجاركم في بلدكم ، فاجمعوا له طائفة من أموالكم ففعلوه ثم أتوه به[٤] ، فنــزل : ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ يقول على الإيمان جعلا إلا المودة في القربى ، يقول : إلا أن تؤدوا قرابتي فحثم على ذوي قرابته .

وروى أبو مالك[٥] عن ابن عباس ، قال : إلا أن تحفظوني في قرابتي[٦] وهو قول عمرو بن شعيب .

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٢٤ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٩ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٢٤ ، ٢٤ ، وتفسير البغوي ٧/ ١٩١ ، والدر المنثور ٧/ ٣٤٦ .

(٤) انظر : تفســير الثعلبي ١٠/ ٦٥أ ، وأسباب النــزول للواحدي ٣٩٥ ، والوسيط ٤/ ٥٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٤ .

(٥) هو غزوان الغفاري الكوفي .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٢٤ .

القول الثالث : ما ذكره الحسن إلا أن تؤدوا على الله طاعة في ما يقربكم إليه من التودد إليه بالعمل الصالح ، وهو رواية مجاهد عن ابن عباس قال : لا أسألكم على ما آتيكم من البينات والهدى أجرا إلا أن توادوا الله وأن تقربوا إليه بطاعته[١] .

ومعنى هذا القول إلا أن توادوا ما يقربكم إليه من الطاعة والعمل الصالح ، والقربى على القول الأول القرابة التي هي خارج بمعنى الأقارب ، وعلى القول الثالث هي : فعلى من القرب والتقرب .

وادعى قوم النسخ في هذه الآية لقوله تعالى : ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ :٤٧] ولقوله : ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص :٨٦] ، قالوا : بطل الأجر في هاتين الآيتين ، وهذا قول مقاتل[٢] والضحاك والسدي[٣] ، وهذا وهم لا يحسن النسخ في هذه الآية على الأقوال الثلاثة[٤] ، فلا يقال نسخ مودة النبي ﷺ فكيف الأذى عنه لأجل قرابته ولا مودة آله وأقاربه ولا التقرب إلى الله بالطاعة ، وإنما ذهبوا إلى أن[٥] هذا لما رأوا من التنافي بين الآيتين اللتين ذكروا .

وقد ذكر أبو إسحاق الزَّجَّاج ما يزيل الإشكال ، فقال : قوله : إلا المودة استثناء ليس من الأول وليس المعنى أسألكم المودة في القربى لأن الأنبياء -صلوات الله عليهم- لا يسألون أجراً على تبليغ الرسالة ، والمعنى والله أعلم :

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٢ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٩ .

(٣) أورد ذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٢ ، وذهب كثير من المحققين إلى أن الآية محكمة وليست منسوخة . انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٢٦ ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٦٢٠ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ٤٥١ ، ٤٥٢ ، وتفسير البغوي ٧/ ١٩٢ .

(٤) انظر : تفسير الوسيط ٤/ ٥٣ ، وتفسير البغوي ٧/ ١٩٢ .

(٥) كذا رسمها في الأصل ، ولعل الصواب (إلى هذا) أو (إلى أن ترد هذا هو المراد) .

ولكني أذكركم المودة في القربى والأمر على ما ذكره أبو إسحاق[١] ، وتم الكلام عند قوله : (أجراً) ثم[٢] قال : إلا المودة في القربى ؛ أي لكن أذكركم قرابتي منكم فكأنه في اللفظ أجر وليس بأجر ، ونحو هذا قال الأخفش : إلا المودة استثناء خارج يريد إلا أني أذكر مودة[٣] .

قوله : ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ ؛ أي يعمل ويكتسب ، قال أبو إسحاق : من يعتمل[٤] . وقال المبرِّد : الاقتراف الاعتمال والاكتساب[٥] .

قال مقاتل : يكتسب حسنة واحدة نزد له فيها حسناً ، يقول : نضاعف الحسنة الواحدة عشرا فصاعداً[٦] .

قال ابن عباس : ومن يقترف يريد من المؤمنين ، نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٧] .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ ؛ أي لذنوب هؤلاء ﴿شَكُورٌ﴾ لمحاسنهم القليلة حين يضاعفها ، قاله مقاتل[٨] .

٢٤. وقوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ يعني كفار مكة ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ حين زعم أن القرآن من عند الله .

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٨ .
(٢) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٨٠ ، والمكتفى للداني ٥٠٣ .
(٣) في معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٨٦ ، وبلفظ : (إلا أني أذكر مودة قرابتي) .
(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٨ ، ونصها : (من يعمل حسنة نضاعفها له) .
(٥) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٨٠ ، ولم ينسبه ، وذكر هذا المعنى أيضاً القرطبي ولم ينسبه ١٦/ ٢٤ .
(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٩ .
(٧) ذكر ذلك الألوسي في تفسيره . انظر : ٢٥/ ٣٣ .
(٨) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٩ .

قوله تعالى : ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ قال مجاهد : يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يشق عليك[(١)] .

وقال مقاتل : يربط عليك فلا يدخل قلبك المشقة من قولهم : إن محمداً كذاب مفتر[(٢)] ، وتم الكلام هاهنا[(٣)] .

ثم أخبر أنه يذهب ما يقولونه باطلاً ، فقال : ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ ؛ أي الشرك ، وقولهم لمحمد ﷺ : كذاب والقرآن مفترى ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ﴾ ؛ أي الإسلام فيبينه ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ بما أنزله من كتابه على لسان نبيه ، وقد فعل ذلك فأزهق باطلهم وأعلى كلمة الإسلام ، وليس قوله : ويمح الله الباطل عطفاً على المجزوم الذي قبله وإن حذفت الواو في الخط وهو كقوله : ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الإسراء :١١] ، ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق :١٨] حذفت الواو منهما في الخط ؛ لأنها تسقط في اللفظ لالتقاء الساكنين وهو مراد ، قاله الكسائي والفرَّاء والزَّجَّاج[(٤)] .

قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ قال ابن عباس : يريد ما في [قلوب خلقه[(٥)]] .

وقال مقاتل يعلم ما في قلب محمد من الحزن من قولهم وتكذيبهم إياه[(٦)] .

---

(١) انظر : تفسير الثعلبي ١٠/ ٦٩ب ، وتفسير البغوي ٧/ ١٩٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٥ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٦٩ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرا ٣/ ٢٣ ، وكتاب القطع والائتناف للنحاس ٦٤١ ، والمكتفى للداني ٥٠٣ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٢٧ ، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٩ .

(٥) في الأصل (قلوبهم خلفه) ، وأثبتنا ما في تفسير الوسيط ٤/ ٥٣ ، وقال ابن جرير الطبري : إن الله ذو علم بما في صدور خلقه ، ولم ينسبه . انظر : ١٣/ ٢٧ .

(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٠ .

٢٥. قولـــه تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال ابن عباس : يريد أولياءه وأهل طاعته[١] ، قال : وكل شيء في كتاب الله يا عبادي ومن عبـــاده فهو يريد بذلك أولياءه وأهل طاعته ، (ويعفو عن الســـيئات) قال : يريد يعفو عن أوليائه ما كانـــوا عليه من الشرك وما نسخه .

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ من خير وشر وقرىء بالتاء ، قال أبو عبيد والأخفش الياء لأنه من خبريـــن ؛ أحدهما : قبله وهو قوله : عن عبـــاده ، والآخر : بعده ، وهو قوله : ويزيدهم من فضله ، وحجة التاء أن التاء تعم المخاطبين والغيب[٢] ، وتفســـير ابن عباس يدل على التاء ؛ لأنه قال يريد يا معشر المشركين وكأنه عاد إلى مخاطبة المشركين بالتهدد[٣] .

٢٦. قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال الفرَّاء : يكون الذين في موضع نصـــب المعنى : ويجيب الله الذيـــن آمنوا إلا أنك إذا قلت اســـتجاب أدخلت اللام في المفعول به كقوله : ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عمران :١٩٥] ، وإذا قلت : أجاب حذفت اللام قال ، ويكون استجابهم بمعنى : اســـتجاب لهم كما قال : ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ [المطففـين :٣] ، ويكون الذين في موضع رفع بـــأن يجعل الفعل لهم ؛ أي الذين آمنوا يســـتجيبون لله ويزيدهم الله عـــلى إجابتهم وتصديقه من

(١) ذكر ذلك البغوي ٧/ ١٩٣ ، والقرطبي ١٦/ ٢٦ ، والمؤلف في الوسيط ٤/ ٥٣ ونسبوه لابن عباس .

(٢) انظر : الحجة للقراء الســـبعة لأبي علي الفارس ٦/ ١٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٦ ، ولم أقف عليه في معـــاني القرآن للأخفش ، قرأ حفص وحمزة والكســـائي ﴿تَفْعَلُونَ﴾ بالتاء ، وقرأ الباقون بالياء . انظر : كتاب التبصرة في القراءات السبع لمكي ٦٦٧ ، والنشر في القراءات العشر ٢/ ٣٦٧ .

(٣) انظر : تفسير الوسيط ٤/ ٥٣ .

فضله[١] ، هذا كلامه والظاهر القول الأول ؛ لأن ما قبله وما بعده من الأفعال مسند إلى الله فلذلك يستجيب ، وعليه دلَّ كلام المفسرين[٢] .

روي أن معاذ بن جبل خطب بالشام ، فقال : إني لأرجو أن يدخل الجنة من تسبون من فارس والروم ؛ وذلك أن أحدهم إذا عمل لأحد العمل قال : أحسنت يرحمك الله ، أحسنت بارك الله فيك ، والله -عز وجل- يقول : ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٣] . فيجعل الاستجابة بمعنى الإبانة[٤] ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ قال : يزيدهم براً سوى ثواب أعمالهم تفضلاً منه عليهم ، وروى أبو صالح عنه : يشفعهم في إخوانهم[٥] ، ويزيدهم من فضله قال : في إخوان إخوانهم[٦] ، فالاستجابة على هذا إجابتهم إلى ما يشفعون فيه في الآخرة .

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤ ، وبلفظ : (إجابتهم والتصديق من فضله) .

(٢) انظر : تفسير الطبري :١٣/ ٢٩ ، وإعراب القرآن : للنحاس ٤/ ٨٢ ، وتفسير ابن عطية ١٤/ ٢٢١ .

(٣) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٢٩ عن معاذ . انظر : الدر المنثور ٧/ ٣٥١ .

(٤) كذا في الأصل ، وهو تصحيف ، ولعل المراد (الإجابة) ، قال ابن عطية : (ويستجيب) قال الزَّجَّاج وغيره معناه : يجيب ، والعرب تقول : أجاب واستجاب بمعنى : ومنه قول الشاعر :

ودَاعٍ دَعَايَا مَنْ يُجِيبُ النِدَا فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

انظر : تفسير ابن عطية ١٤/ ٢٢١ .

(٥) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٢٩ ، ونسبه البغوي ٧/ ١٩٤ لأبي صالح .

(٦) انظر : تفسير البغوي ٧/ ١٩٤ ، والجامع لأحكام القرآنك ١٦/ ٢٦ .

٢٧. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قال خباب بن الأرت: فينا نزلت هذه الآية؛ وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة[١] والنضير فتمنيناها، فأنزل الله هذه الآية[٢].

قال مقاتل: يقول لو أوسع الله الرزق لعباده، وقال غيره: يعني لو رزقهم من غير كسب لبغوا في الأرض. قال مقاتل: لعصوا[٣].

وقال الكلبي عن ابن عباس: بغيهم في ذلك أن يرتفعوا من منزلة إلى منزلة ومن مركب إلى مركب ومن ملبس إلى ملبس[٤].

وقال أهل المعاني: معنى البغي ببسط الرزق بطر النعمة والمنافسة حتى يطلب المنافس ما في يد غيره، وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس: لبغى بعضهم على بعض[٥]، ومعنى البغي في اللغة: طلب ما ليس لك طلبه[٦]، ومن وسع ذات

---

(١) بنو قريظة: حي من اليهود كانوا يسكنون المدينة وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فنقضوه، وحكَّم فيهم رسول الله ﷺ سعد بن معاذ رضي الله عنه، فحكم أن يقتل الرجال، وتقسم الأموال وتسبى النساء والذرية. انظر: سيرة ابن هشام ٣/ ٢٤٧.
النضير: حي من اليهود يسكنون المدينة أرادوا قتل النبي ﷺ حينما خرج إليهم يستعينهم في دية قتيلين، فأجابوه ثم هموا بقتله، فجاءه الخبر من السماء بما أراد القوم، فحاربهم ﷺ وأجلاهم عن المدينة. انظر: سيرة ابن هشام ٣/ ١٩٠.

(٢) ذكر سبب النزول هذا عن خباب بن الأرت بهذا اللفظ الواحدي في أسباب النزول ٣٩٦، ورواه الطبري ١٣/ ٣٠ من رواية عمرو بن حريث وغيره. قال: يقولون نزلت في أهل الصفة، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٧/ ٣٥٢.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٠.

(٤) انظر: تفسير الثعلبي عن ابن عباس ١٠/ ٧١ب، وتفسير البغوي نسبه لابن عباس ٧/ ١٩٤، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٧ عن ابن عباس.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٧.

(٦) انظر: اللسان (بغى) ١٤/ ٧٦، ومفردات الراغب (بغى) ٥٥.

يده لم يسلم من طلب ما هو ممنوع عنه وورد ما لا يحل له ، وقوله في الأرض يجوز أن يكون ظرفاً [للعباده][(١)] ، ويجوز أن يكون ظرفاً للبغي .

قوله تعالى : ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ ينزل بقدر ما يشاء بقدر ، قال ابن عباس : مطرا منه لأوليائه وأهل طاعته[(٢)] .

قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ﴾ قال الكلبي : بصير بهم أن لو أعطاهم لبغوا[(٣)] .

٢٨. قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ قال ابن عباس : المطر[(٤)] من بعد ما قنطوا من بعد ما أيس الناس من المطر .

قال أهل المعاني : وإنزاله بعد القنوط أدعى إلى شكر الآتي به[(٥)] ، وتعظيمه والمعرفة بموقع إحسانه ، وكذلك الشدائد التي تمر بالإنسان ويأتي الله بالفرج بعدها .

قال مقاتل : نزلت حين حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ، ثم أنزل الله المطر فذكرهم النعمة[(٦)] . ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ قال ابن عباس : يوسع عليهم رزقه[(٧)] ، وقال مقاتل : يبسط مطره[(٨)] .

---

(١) كذا رسمها في الأصل ، ولعل الصواب (لعباده) أو (للعباد) .
(٢) لم أقف عليه .
(٣) لم أقف عليه .
(٤) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ولم ينسبه . انظر : ١٠/ ٧٢ب ، وذكره السمرقندي ولم ينسبه ٣/ ١٩٦ .
(٥) انظر : تفسير البغوي ٧/ ١٩٥ .
(٦) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٠ .
(٧) لم أقف عليه .
(٨) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٠ .

﴿وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ يلي المطر ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ عند خلقه وإنزال الغيث عليهم ، وقال ابن عباس : الولي لأهل طاعته الحميد عندهم في جميع خلقه[١] .

٢٩. قوله : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ إلى قوله : ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ قال ابن عباس : ما دب فهو دابة يعني : الناس وغيرهم[٢] .

وقال مجاهد : يعني الناس والملائكة[٣] .

وقال مقاتل : يعني الملائكة في السموات والخلائق في الأرض خاصة دون السماء[٤] ، وذكر الفرَّاء هذا القول ، فقال : أراد وما بث في الأرض دون السماء ومثله مما ثني ومعناه واحد وهو قوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن :٢٢] ، وإنما يخرج من الملح دون العذب[٥] هذا كلامه ، وأبو علي الفارسي يجعل ما كان من هذا النحو من باب حذف المضاف ويكون التقدير عنده : وما بث في أحدهما ثم حذف المضاف وكذلك قوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ ؛ أي من أحدهما[٦] .

قوله تعالى : ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ قال ابن عباس : يريد يوم القيامة[٧] .

وقال مقاتل : وهو على جمعهم في الآخرة إذا شاء قدير[٨] .

---

(١) ذكر ذلك البغوي : في تفسيره ولم ينسبه ٧/ ١٩٥ .

(٢) ذكر ذلك الشوكاني في فتح القدير ولم ينسبه . انظر : ٤/ ٥٣٨ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٣١ ، وفقد أخرجه عن مجاهد ، ونسبه القرطبي لمجاهد . انظر : ١٦/ ٢٩ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٠ .

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤ .

(٦) انظر : الحجة ٦/ ٢٤٧ .

(٧) ذكر ذلك البغوي : ولم ينسبه . انظر : تفسيره ٧/ ١٩٥ ، وكذلك ذكره القرطبي ١٦/ ٢٩ ولم ينسبه ، وكذلك ذكره الشوكاني ولم ينسبه . انظر : فتح القدير ٤/ ٥٣٨ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٠ .

٣٠. قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ روى الحسن أن النبي ﷺ قال : «ما خدش[١] عود ولا عثرت قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله أكثر» ، ثم قرأ : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[٢] .

ونحو هذا قال المفسرون : إن المراد بالمصيبة كل ما يلحق المؤمن مما يكره .

قال مقاتل : ما أصاب المؤمن بلاء في الدنيا من نكبة حجر أو عثرة قدم فصاعداً إلا بذنب ، وذلك قوله فبما كسبت أيديكم ؛ أي من المعاصي[٣] ، ونحو هذا قال قتادة وغيره[٤] .

قوله : ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ ويتجاوز عن كثير من الذنوب فلا يعاقب بها قاله مقاتل[٥] .

---

(١) نص الحديث عند وكيع : «ما من عثرة قدم ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر» ١/ ٣١٧ .

(٢) أخرج ذلك الثعلبي : في تفسيره ١٠/ ٧٢ب ، وأخرجه أيضاً وكيع في كتاب : الزهد عن الحسن ، وقد حكم محقق كتاب : الزهد عليه بالضعف . انظر : كتاب : الزهد للإمام وكيع بن الجراح ١/ ٣١٧ ، وكما أخرجه الإمام هناد بن السري في كتاب : الزهد ، وأشار المحقق إلى ضعفه ١/ ٢٤٩ ، وانظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي ٥/ ٤٩٢ ، وانظر : ضعيف الجامع الصغير للألباني ٥/ ١٢٣ ، وقد حكم عليه بالوضع ، انظر : تفسير الحسن البصري ٢٧١ ، وتفسير سفيان الثوري ٢٦٨ ، ونسبه أبو القاسم الزَّجَّاجي لقتادة . انظر : أمالي الزَّجَّاجي ١١٢ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٠ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٠ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٣٢ ، والماوردي ٥/ ٢٠٤ ، والقرطبي ١٦/ ٣١ .

وقال ابن عباس : يريد لا يؤاخذكم بكثير من أعمالكم وما عفا عنه في الدنيا ؛ فالله أعـز وأكرم من أن يعود في عفوه ، وما عاقب عليه في الدنيا فالله أكرم من أن يعيد العذاب عليه في الآخرة[١] .

روي ذلك مرفوعاً وهو ما روى أبو إسحاق[٢] عن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية وفسرها له كما ذكر ابن عباس ، كذلك فهذه أرجى آية في كتاب الله ؛ لأن الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين صنفين : صنف كفره عنهم بالمصائب في الدنيا ، وصنف عفا عنهم في الدنيا وهو كريم لا يعود في عفوه ، وهذا سنة الله مع المؤمنين ، وأما الكافر فلأنه لا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافى يوم القيامة .

وفي مصاحف المدينة والشام (بما كسبت) بغير فاء وكذلك يقرءون ، والقول في ذلك : أصاب يجوز أن يكون صلة (ما) ، ويجوز أن يكون شرطاً في موضع جزم ، فمن قدره شرطاً لم يجز حذف الفاء من جوابه على قول سيبويه[٣] .

---

(١) هذا معنى حديث أخرجه الإمام أحمد عن علي بن أبي طالب ١/ ٨٥ ، والحاكم ٤/ ٣٨٨ ، وأورده الهيثمي ٧/ ١٠٤ ، وقال : فيه أزهر بن راشد وهو ضعيف . ونصه عند الإمام أحمد : قال علي رضي الله عنه : ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله ﷺ : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ وسأفسرها لك يا علي : ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله تعالى أكرم من أن يثني عليهم العقوبة في الآخرة ، وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا ؛ فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه . وأخرجه أبو يعلى في مسنده ١/ ٣٥٢ عن علي ، وقال محقق المسند : فيه أزهر بن راشد وهو ضعيف .

(٢) نقل المؤلف هذا الكلام من الحجة للقراء السبعة ٦/ ١٢٩ ، وانظر : الكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢٥١ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٠ .

وقد تأول أبو الحسن[١] بعض الآي على حذف الفاء في جواب الشرط، وأجاز ذلك أيضاً بعض البغداديين، واحتج بقوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وإذا كان صلة فالإثبات والحذف جائزان على معنيين مختلفين، فإن أثبت كان في ذلك دليل على أن الثاني وجب بالأول كقوله: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، ثم قال: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ فإثبات الفاء يدل على أن وجوب الأجر إنما هو من أجل الإنفاق[٢] وإذا كان جزاء غير جازم أن تثبت الفاء كقوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٩]، ومعنى هذه الآية كقوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١] الآية هذا كلام أبي علي[٣].

وقال أبو إسحاق: إثبات الفاء في العربية أجود؛ لأن الفاء مجازاة جواب الشرط[٤]، ومن حذف الفاء فعلى أن (ما) في معنى (الذي) والمعنى: الذي أصابكم وقع بما كسبت أيديكم.

٣١. وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ يقول: وما أنتم يا معشر المشركين بمعجزين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ لا تعجزونني حيث ما كنتم لا تسبقونني هرباً في الأرض.

---

(١) هو: سعيد بن مسعدة الأخفش. وليس ذلك في معاني القرآن، وقد نقله المؤلف من الحجة لأبي علي انظر: ٦/ ١٢٩.

(٢) في الحجة: (والأولى إذا كان جزاء..).

(٣) انظر: الحجة: للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٦/ ١٢٩.

(٤) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٩، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٨٣.

٣٢-٣٣ . وقوله تعالى : ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ قال المفسرون[١] وأهل اللغة[٢] : كالجبال ، والعلم الجبل الطويل ، قال مقاتل : شبه السفن في البحار كالجبال في البر[٣] .

وقوله : ﴿رَوَاكِدَ﴾ ؛ أي قائمات ثابتات لا تجري ولا تبرح ، قاله المفسرون[٤] ، والركود في اللغة : السكون يقال : ركد الماء وركدت الريح[٥] ، وقوله : ﴿لَّأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ مفسر في سورة [سبأ :١٩] .

٣٤. قوله تعالى : ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ قال ابن عباس : يريد أو يغرقهن[٦] ، وقال مقاتل : يقول أو إن شاء يهلكهن[٧] ، يقال : أوبقه ؛ أي أهلكه ، ويقال للمجرم : أوبقته ذنوبه ؛ أي أهلكته ، وأنشد أبو عبيدة :

أَسْتغفِرُ الله أَعْمَالِي التي سَلَفَتْ ... من عَشْرةٍ إنْ يُعَاقِبْني بِهَا أَبِقِ[٨]

ومضى الكلام في هذا عند قوله : ﴿مَّوْبِقًا﴾ [الكهف :٥٢] قال ابن قتيبة : أراد أهل السفن يعني أن المراد بالإهلاك أهل السفن لا السفن[٩] ، فيكون على

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٣٣ ، والماوردي ٥/ ٢٠٥ ، وابن عطية ١٤/ ٢٢٦ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (علم) ٢/ ٤١٨ ، واللسان (علم) ١٢/ ٤١٩ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧١ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٣٤ ، والثعلبي ١٠/ ٧٤أ ، والبغوي ٧/ ١٩٦ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (ركد) ١٠/ ١١٥ ، واللسان (ركد) ٣/ ١٨٤ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٣٥ .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧١ .

(٨) البيت لأعشى همدان وهو في ديوانه الذي ألحق في ديوان أعشى ميمون ٣٣٧ ، وانظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٠٠ ، والزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٩٧ ، والشاهد : قوله : أبق ؛ أي أهلك .

(٩) انظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٩٣ .

تقدير حذف المضاف كأنه أو يوبق أهلهن يدل على هذا قوله : ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ ابن عباس : بما أشركوا واقترفوا من الذنوب[١] .

وقوله : ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ قال مقاتل : ويتجاوز عن كثير من الذنوب فينجيهم من الهلكة فلا يغرقهم[٢] .

وقرأ العامة ﴿وَيَعْفُ﴾ بالجزم عطف على ما قبله ووجهه من المعنى غير بين ؛ لأن معنى الآية : إن يشأ يسكن تلك السفن حتى تبقى راكدة لا تجري ، أو يهلكها بذنوب أهلها فلا يحسن عطف ﴿وَيَعْفُ﴾ على هذا ؛ لأنه يُصيِّر المعنى : إن يشأ يعف وليس المعنى على ذلك ، وإنما الإخبار عن العفو من غير شرط المشيئة ، وعلى هذا يجب أن يكون : ويعفو مرفوعاً مستأنفاً وكأنه روعي اللفظ ، فعطف على المجزوم ظاهراً وإن لم يكن على ذلك ، والأولى قراءة من قرأ بالرفع وإن شذ[٣] .

٣٥. قوله تعالى : ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ قرىء : (ويعلم) رفعاً ونصباً[٤] ، قال المبرِّد : من رفع [محيد[٥]] بالغ بقطعه من الأول ويجعلها جملة معطوفة على جملة كأنه قال : والذين يجادلون في آياتنا يعلمون ما لهم من محيص ؛ أي هذه حالهم كقوله : إن تأتيني آتيك وينطلق عبدالله يوم الجمعة وأنا آتيك غداً ، عطف حديثك بعضه على بعض ، وكل نوع منه على حياله ، وقد اجتمع في آتك صحت كل حديثك بالواو فهذا معنى عطف الجملة على الجملة ، وكذلك كل كلام

---

(١) انظر : تفسير الماوردي ٥/ ٢٠٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣٣ ، وفقد ذكرا نحو هذا المعنى من غير نسبة .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧١ ، ٧٧٢ .

(٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٨٤ ، والدر المصون ٦/ ٨٣ ، وذكر ذلك القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣٣ ، والشوكاني في تفسيره ٤/ ٥٣٩ .

(٤) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦/ ١٣٠ ، وكتاب : التيسير في القراءات السبع للداني ١٩٥ .

(٥) كذا في (أ) و(ب) ، والصواب (محيص) ، ولم أقف على قول المبرِّد .

لم يتعلق بما قبله خبراً كان أو استفهاماً ، وأما من نصب فقال الفرَّاء : (ويعلم الذين) مردود على الجزم ، إلا أنه صرف عنه[١] معطوفة نصب كما قال الشاعر[٢] :

فإنْ يَهْلِكْ أبا قابُوسَ يَهْلِكْ رَبيعُ النَّاس والبلدُ الحَرَامُ
ونمسِكَ بعده بِذِنابِ عَيشٍ أَجَبِّ الظَّهْرِ ليس له سَنامُ

قال : ولو جزم ﴿وَيَعْلَمَ﴾ كان جائزاً فيقرأ ويعلم الذين يجادلون .

وقال أبو إسحاق : النصب على إضمار أن ؛ لأن قبلها جزاء ، تقول : ما تصنع أصنع مثله وأكرمك ، وإن شئت قلت : وأكرمك جزماً[٣] ، وهذا كقول الفرَّاء[٤] سواء .

قال المبرِّد وأبو علي : النصب في هذا بإضمار أن على أن لا يجعل الأول في تقدير المصدر كأنه قيل : ويكون منه عفو وإن لم يعلم فلما حمله على الاسم أضمر أن لاجتماعهما على أنهما مصدران كما تقول إن تأتيني وتعطيني أكرمك ، فتنصب تعطيني وتقديره إن يكون إتيان منك وأن تعطيني[٥] ، وهذا القول الذي ذكرناه تلفيق من حيث النحو ، وليس المعنى على هذا ، وقراءة من قرأه بالنصب ضعيف

(١) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤ ، وبلفظ : (إلا أنه صرف ، والجزم إذا صرف عنه معطوفة نصب . .) .

(٢) الشاعر : النابغة الذبياني يذكر في هذه الأبيات مرض النعمان بن المنذر وأنه إن هلك صار الناس بعده إلى شر حال . انظر : ديوان النابغة ١١٠ ، ومعاني الفرَّاء ٣/ ٢٤ ، والبيت الأخير في تهذيب اللغة (ذاب) ١٤/ ٤٣٩ ، وانظر : الكتاب لسيبويه ١/ ١٩٦ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٣٥ ، وشرح أبيات سيبويه للنحاس ٦٠ ، ٦٢ ، ورد البيت الأخير في المقتضب للمبرِّد ٢/ ١٧٧ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٣٩٩ .

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٥ .

(٥) انظر : الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٦/ ١٣٠ ، وبلفظ : (إن يكن منك إتيان وإعطاء أكرمك) ، الدر المصون ٦/ ٨٤ .

لا وجه له من حيث قالا ، والذي يختار[١] سيبويه في ما عطف على جواب الجزاء أن يكون مجزوماً ويقرأ ويعلم الذين ، قال : والذي ينصب بعد المجزوم في الخبر أشبه بقول من قال في الضرورة :

وألحق بالحجاز فأستريحا[٢]

فأضمر في غير موضع إضمار لأنهما خبران ، قال سيبويه[٣] : إلا أن النصب في الجزاء مثل قليلاً لأنه في الجزاء ليس يوقع فعلاً إلا بأن يكون من غير فعل فصار بمنزلة غير الواجب فمن ثم كان إضمار (أن) أمثل لمضارعته ما ليس بواجب ، وأنشد للأعشى[٤] في نصب ما عطف على الجزاء ، فقال :

ومَن يَغْتَرِبْ عن قومه لا يَزَلْ يرى مَصارِعَ مظلومٍ مَجَراً ومَسْحَبَا
وَتُدْفَنَ منه الصالحاتُ وإن يُسِيءْ يكُنْ ما أَسَاءَ النارَ في رأسِ كَبْكَبَا

(١) انظر : الكتاب لسيبويه فقد نقل منه المؤلف إلى نهاية البيتين بتصرف يسير :٣/ ٩٢ ، وذكر ذلك أبو علي الفارسي في الحجة للقراء السبعة ٦/ ١٣٠ .

(٢) هذا عجز بيت للمغيرة بن حبناء ، وصدره :
سأترك منزلي لبني تميم
انظر : المحتسب ١/ ١٧٩ ، والكتاب ٣/ ٣٩ ، والحجة لأبي علي ٦/ ١٣١ ، والدر المصون ٦/ ٨٤ ، وشرح أبيات سيبويه ١٦١ ، والمقتضب ٢/ ٢٢ .

(٣) نص العبارة عند سيبويه فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه ، إلا أنه في الجزاء صار أقوى قليلاً ، لأنه ليس بواجب أنه يفعل إلا أن يكون من الأول فعل ، فلمّا ضارَع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه ، وإن كان معناه كمعنى ما قبله إذا قال وأعطيك . وإنما هو في المعنى كقوله أفعل إن شاء الله يوجب بالاستثناء ، قال الأعشى في ما جاز من النصب . انظر : الكتابك ٣/ ٩٢ .

(٤) البيتان للأعشى في ديوانه ٨٨ ، والشاهد فيه : نصب تدفن على إضمار أن ، انظر : الكتاب ٣/ ٩٢ ، واللسان (كبب) ١/ ٦٩٧ ، والحجة ٦/ ١٣١ ، والمقتضب ٢/ ٢١ ، وكبكب : اسم جبل بمكة والنار في رأس الجبل أظهر وأشهر ؛ أي من اغترب عن قومه جرى عليه الظلم فاحتمله لعدم ناصره ، وأخفى الناس حسناته ، وأظهروا سيئاته . انظر : الكتاب ٣/ ٩٣ .

فهذا حجة لمن قرأ ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ﴾ بالنصب هذا كلامهما في توجيه القراءة، وهو توجيه من حيث اللفظ وليس يصح في المعنى عطف قوله: ويعلم[1] على المجزوم كالتي في آل عمران: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢] قال المبرِّد: وليس النصب في هذه الآية مثل النصب في تلك؛ لأن العطف في تلك الآية متفق نصب أو جزم، وهو في هذا مختلف؛ لأن المعنى هناك: ولم يعلم الله الذين جاهدوا ولم يعلم الصابرين؛ أي لم يجتمع هذا وهذا وفي هذه الآية قوله: ويعلم الذين يجادلون على حياله وليس يجتمع مع الأولى حتى يحسن العطف عليه[2]، قال ابن عباس: ويعلم الذين يكذبون بآياتنا ما لهم من مهرب[3] يأتون إليه، يريد مصيرهم إليّ، والمعنى: أن الكفار إذا صاروا إلى الله بعد البعث علموا أن لا مهرب لهم من عذاب الله، وهذا التفسير إنما يصح على قراءة من قرأ بالرفع، وهو الوجه؛ أي سيعلمون[4] ذلك.

٣٦. قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مفسر في سورة القصص [آية: ٦٠] إلى قوله: ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، وهو بيان أن ما عند الله إنما هو خير للمؤمنين لا للكافرين؛ فقد استوى الفريقان في أن ما أعطوا للدنيا متاع يتمتعون به ثم يزول، فإذا صاروا إلى الآخرة كان ما عند الله خير للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، قال ابن عباس: [ماله يسمعون وينفون[5]].

---

(١) قال الزمخشري: فإن قلت فما وجوه القراءات الثلاث في: ويعلم. قلت: أما الجزم فعلى ظاهر العطف، وأما الرفع فعلى الاستئناف، وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره: لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون. انظر: الكشاف للزمخشري ٣/ ٤٠٦.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: تفسير الماوردي ٥/ ٢٠٥، وتفسير البغوي ٧/ ١٩٧.

(٤) انظر: الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ٣١٩، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢/ ٢٥١، وكتاب إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر للقلانسي ٥٤٣.

(٥) كذا رسمها في الأصل ولم أتبين معناها، ولم أقف على هذا القول.

٣٧. ثم وصفهم فقال : ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ قال مقاتل : يعني كل ذنب ختم بنار[(١)] ، والكلام في الكبائر قد تقدم في سورة النساء [آية :٣١] ، قرأ حمزة (كبير الإثم) وهو كقراءة من قرأ بالجمع ؛ لأنه يجوز أن يراد بالواحد الجمع عند الإضافة كقوله : ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[(٢)] [إبراهيم :٣٤ ، النحل :١٨] وفي الحديث : «منعت العراق درهمها وقفيزها»[(٣)][(٤)] ، ويجوز أن يكون قد ذهب إلى ما روي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال : يريد الشرك فوحد إرادة الشرك[(٥)] .

قوله تعالى : ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ قال ابن عباس : يريد الزنا[(٦)] ، وقال مقاتل : ما تقام فيه الحدود في الدنيا[(٧)] .

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ قال : يتجاوزون فيكظمون الغيظ ويعفون ، نزلت في عمر بن الخطاب حين شتم بمكة[(٨)] .

قال ابن عباس : يعفون عمن ظلمهم يطلبون بذلك ثواب الله وعفوه[(٩)] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٢ .

(٢) انظر : الحجة للقراء السبعة ٦/ ١٣٢ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٢٥٣ .

(٣) أخرج الحديث بهذا اللفظ مسلم ٣/ ٢٢٠ ، وكتاب الفتن ، باب ٨ ، والإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٦٢ ، وأخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء .

(٤) القفيز : من المكاييل ، معروف ، وهو ثمانية مكاكيك عند أهل العراق ، وهو من الأرض قدر مائة وأربعة وأربعين ذراعاً ، وقيل : هو مكيال تتواضع الناس عليه والجمع أقفزة ، وقفزان . انظر : اللسان (قفز) ٥/ ٣٩٥ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٣٦ ، وتفسير ابن عطية ١٤/ ٢٢٨ .

(٦) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٣٦ عن السدي . وكذلك نسبه البغوي ٧/ ١٩٧ للسدي ، ونسبه القرطبي ١٦/ ٣٥ لابن عباس والسدي .

(٧) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٢ ، والثعلبي ١٠/ ٧٤ب ، والبغوي ٧/ ١٩٧ .

(٨) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣٥ .

(٩) ذكر نحو ذلك القرطبي ١٦/ ٣٦ ولم ينسبه .

وقال الكلبي عن ابن عباس : يعفون عمن ظلمهم . أقبل رجل من المشركين يشتم أبا بكر ويقع فيه ، فلم يرد عليه أبو بكر شيئاً ، فنزلت هذه الآية[١] ، وما بعدها من قوله : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ قال ابن عباس : أجابوا النبي ﷺ إلى ما دعاهم إليه من عبادة الله وتوحيده[٢] .

٣٨. قوله تعالى : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ الشورى فعلى من المشاورة والأمر الذي يتشاور فيه ، فقال قوم : شورى مثل نجوى وأمر شورى ، يقال : صار هذا الشيء شورى بين القوم إذا تشاوروا فيه .

قال ابن عباس : يريد يتشاورون في الأمر يطلبون رضا الله يكرهون أن يعجلوا في الأمر فيأثموا[٣] .

وقال الحسن في هذه الآية : والله ما تشاور قوم إلا هداهم الله لأفضل ما يحضر بهم[٤] ، وفي الآية حث على المشاورة في الأمر حين أثنى على هؤلاء بأنهم يتشاورون .

٣٩. قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : يعني المؤمنين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم

---

(١) انظر : غرائب التفسير للكرماني ٢/ ١٠٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣٦ ، وتنوير المقباس ٤٨٧ .

(٢) ذكر ذلك الطبري ١٣/ ٣٧ ولم ينسبه ، وقال الماوردي ٥/ ٢٠٦ : قال عبدالرحمن ابن زيد : هم الأنصار بالمدينة استجابوا إلى الإيمان بالرسول حين أنفذ إليهم اثني عشر نقيباً منهم قبل الهجرة . اهـ . وكذلك ذكره القرطبي ١٦/ ٣٦ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) انظر : تفسير الماوردي ٥/ ٢٠٦ ، وتفسير الوسيط ٤/ ٥٧ ، وتفسير الحسن ٢/ ٢٧٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣٦ .

الله في الأرض حين نصروا ممن ظلمهم[١] ، وقال في رواية الكلبي : نزلت في أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- شتمه رجل بحضرة رسول الله ﷺ ، فسكت عنه فلما طال شتمه إياه انتصر منه[٢] .

وقال ابن زيد : جعل المؤمنين صنفين : صنف يعفون عمن ظلمهم فبدأ بذكرهم وهو قوله : ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ ، وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية[٣] .

وقال السدي : هذا عام في كل باغٍ وكل منتصر .

وقال مقاتل : هذا في اقتصاص المجروح من الجارح[٤] .

قال أبو إسحاق : فإن قيل : هم محمودون على انتصارهم ؟ قيل : نعم لأن من انتصر فأخذ بحقه ولم يجاوز في ذلك ما أمر الله به ولم يسرف إن كان ولي دم ، فهو مطيع لله -عز وجل- وكل مطيع محمود[٥] ، وقيل : إنما مدحهم بالانتصار لأنهم كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فتجترئ عليهم الفساق[٦] ، وهذا معنى قوله : أمرهم .

---

(١) ذكر ذلك البغوي ٧/ ١٩٧ عن عطاء ، ونسبه ابن الجوزي لعطاء انظر : ٧/ ٢٩١ ، ونسبه القرطبي :١٦/ ٣٨ لابن عباس ، تفسير الوسيط ٤/ ٥٨ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٢/ ٤٣٦ ، وأورده الفرَّاء في معاني القرآن ٣/ ٢٥ .

(٣) أخرج ذلك الطبري ١٣/ ٣٧ عن ابن زيد ، ونسبه البغوي لابن زيد ٧/ ١٩٧ ، وهكذا في زاد المسير ٧/ ٢٩١ .

(٤) انظر : زاد المسير ٧/ ٢٩٣ ، وتفسير مقاتل ٣/ ٧٧٢ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٤٠١ .

(٦) انظر : تفسير البغوي ٧/ ١٩٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣٩ .

٤٠. قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ قال مقاتل: جزاء الجارح أن يجرح فيقتص منه[١].

وقال مجاهد والسدي: هو إجابة قائل الكلمة القبيحة إذا قال أخزاه الله من غير أن يعتدي، وأما القذف الموجب للحد فليس جزاؤه القذف؛ جزاؤه أن يحد كما أمر الله[٢].

قال أبو إسحاق: والمجازاة بالسيئة غير سيئة توجب ذنباً وإنما سميت سيئة؛ لأنها مجازاة لسوء، وقد ذكرنا هذا عند قوله[٣]: ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٤].

ثم ذكر العفو، فقال: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ﴾ قال ابن عباس: يريد بعد القدرة عفا عمن ظلمه بيده ولسانه وأصلح؛ أي أصلح ما بينه وبين ظالمه بالعفو[٤]، وقال مقاتل: أصلح العمل بالعفو والعفو من الأعمال الصالحة[٥] ﴿فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ضمن الله له أجره بالعفو: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال مقاتل: يعني من بدأ بالظلم.

قال أهل المعاني: لما حث على العفو عن الظالم أخبر أنه لا يحبه[٦].

وقيل: إنه لا يحب الظالم الذي يتعدى في القصاص إلى ما ليس له[٧]، فيكون في هذا زجر عن التعدي في القصاص.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٢.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي ١٠/ ٧٥أ، وزاد المسير ٧/ ٢٩٣، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٤٠.

(٣) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٤٠١.

(٤) نسب القرطبي ذلك لابن عباس. انظر: الجامع ١٦/ ٤٠، وذكر نحوه الشوكاني ولم ينسبه، انظر: تفسيره ٤/ ٥٤١.

(٥) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٣، وتفسير الثعلبي ١٠/ ٧٥ب، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٤٠.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) ذكر ذلك القرطبي في الجامع ١٦/ ٤١ ونسبه لابن عيسى.

٤١. ثم ذكر المنتصر، فقال: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾؛ أي بعد ظلم الظالم إياه، والمصدر هاهنا مضاف إلى المفعول[١] كقوله: ﴿مِن دُعَآءٍ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩] و﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص: ٢٤]، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني المنتصرين ﴿مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ بعقوبة مؤاخذة لأنهم أتوا ما أبيح لهم من الانتصار.

٤٢. ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾ قال ابن عباس: يبادرون بالظلم[٢] ﴿وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؛ قال مقاتل: يعملون فيها بالمعاصي[٣].

٤٣. ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ وتجاوز ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر والتجاوز ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ من حق الأمور التي أمر التنبه بها قاله مقاتل[٤] وقال ابن كيسان: عزم الأمور هو: التيقن بالخلف والثواب[٥].

وقال أبو إسحاق: الصابر يؤتى بصبره ثواباً والرغبة في الثواب أتم عزم[٦].

وقال الأخفش: إن ذلك منه لمن عزم الأمور كما تقول: مررت بدار الذراع بدرهم؛ أي الذراع منها بدرهم[٧].

---

(١) انظر: تفسير الكشاف ٣/ ٤٠٧، والبحر المحيط ٧/ ٥٢٣.

(٢) ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره ولم ينسبه. انظر: ١٠/ ٧٥ب، وكذلك ذكره الثعلبي ولم ينسبه. انظر: ٧/ ١٩٨، وأيضاً ذكره ابن الجوزي ولم ينسبه. انظر: زاد المسير ٧/ ٢٩٣، ونسبه في الوسيط: لابن عباس، انظر: ٤/ ٥٩.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٣، وتفسير البغوي ٧/ ١٩٨.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٣، وتفسير البغوي ٧/ ١٩٨.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٤٠٢.

(٧) انظر: معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٨٧.

٤٤. قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ قال ابن عباس: من أضله الله فلا هادي له غيره[١]، وقال مقاتل: ومن يضلل الله عن الهدى فما له من ولي يعني قريباً يهديه[٢]؛ أي بعد إضلال الله إياه، وهذا صريح في جواز الإضلال من الله وفي أن الهداية ليست في مقدور أحد سوى الله تعالى[٣].

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: يعني المشركين يسألون الله الرجعة إلى الدنيا إذا رأوا العذاب في الآخرة.

٤٥. قوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ قال يونس: من هاهنا بمنزلة الباء يعني بطرف[٤].

وقال الأخفش: جعل الطرف العين كأنه قال نظرهم من عين ضعيفة[٥].

قال مجاهد: ﴿خَفِيٍّ﴾؛ أي ذليل[٦]، والمعنى: يخفون النظر من الذل الذي بهم.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٣.

(٣) قال ابن جرير: من خذله الله عن الرشاد فليس له من ولي يليه فيهديه لسبيل الصواب، ويسدده من بعد إضلال الله إياه، انظر: تفسير الطبري ١٣/ ٤٠.

(٤) انظر: حروف المعاني للزَّجَّاجي ٧٦، والجنى الداني للمرادي ٣١٤.

(٥) انظر: معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٨٧.

(٦) انظر: تفسير مجاهد ٥٩١، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٤٥.

وقال مقاتل : يستخفون بالنظر إليها[١] ، وهو معنى قول قتادة والحسن : ينظرون إليها مسارقة[٢] ، وقال الكلبي : هذا قبل دخولهم النار يعرضون على النار فرأوها بقلوبهم فهو الطرف الخفي ، ولم يروها بأعينهم لأنهم يبعثون عمياً[٣] .

٤٧. قوله تعالى : ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُمْ﴾ قال ابن عباس ومقاتل : أجيبوا داعي ربكم يعني محمداً ﷺ في التوحيد[٤] ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ لا يقدر أحد على دفعه ورده وهو يوم القيامة ، ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ﴾ تلجأون إليه وحرز يحرزكم ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ ؛ أي من إنكار وتغيير للعذاب .

وقال أبو إسحاق : أي ليس لكم مخلص من العذاب ، ولا تقدروا أن تنكروا ما توقفون عليه من ذنوبكم ولا ما ينزل بكم من العذاب[٥] .

٤٨. قوله تعالى : ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ قال ابن عباس : يريد الغنى والصحة[٦] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٣ .

(٢) ذكر ذلك البغوي ٧/ ١٩٩ ولم ينسبه ، ونسبه ابن الجوزي ٧/ ٢٩٤ لقتادة والسدي ، ونسبه القرطبي ١٦/ ٤٥ لقتادة والسدي والقرظي وسعيد ابن جبير .

(٣) ذكر هذه الأقوال جميعها الطبري : في تفسيره ١٣/ ٤٢ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٤٥ ، ٤٦ ، والسيوطي في الدر المنثور ٧/ ٣٦١ .

(٤) ذكر ذلك البغوي ٧/ ١٩٩ ولم ينسبه ، والمؤلف في الوسيط ٤/ ٦٠ ، ولم ينسبه ، انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٣ .

(٥) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٤٠٢ .

(٦) ذكر ذلك البغوي : في تفسيره عن ابن عباس . انظر : ٧/ ٢٠٠ ، ونسبه في الوسيط : لابن عباس ٤/ ٦٠ .

وقال مقاتل : نزلت في كفار مكة ، ويريد بالرحمة المطر ، والمراد بالإنسان هاهنا : الجمع يدل عليه قراءة عبدالله : وإنا إذا أذقنا الناس منا رحمةً[١] ، ويدل عليه قوله : ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ قال الفرَّاء : والهاء والميم على التأويل ومثله قوله : ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء :٢٨] وهو في معنى جمع ، وكذلك جاز منه الاستثناء وهو موحد في اللفظ ، كما قال : ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر :٢ ، ٣][٢] قال مقاتل : سيئة يعني قحط المطر[٣] : ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ ؛ أي لما تقدم من نعمة الله عليه يعدد المصائب ويجحد النعم .

٤٩. قوله تعالى : ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ يعني : البنات ليس فيهن ذكر ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ يعني البنين ليس معهم أنثى ، وهذا قول ابن عباس[٤] ، في رواية سعيد بن جبير ومقاتل والمفسرين[٥] ، وعرف الذكور لأجل الفاصلة ؛ لأنها لو نكرت لكانت ذكوراً فكان يوقف عليها بالألف فتختلف الفواصل . وقال ابن عباس في رواية عطاء : يهب لمن يشاء إناثاً : يريد لوطاً لم يولد له إلا بنات[٦] ، ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ يريد إبراهيم -عليه السلام- لم يولد له إلا ذكور[٧] .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦ .

(٣) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٣ .

(٤) لم أقف عليه ، وقد أخرجه الطبري : في تفسيره ١٣/ ٤٤ عن السدي .

(٥) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٥ ، والدر المنثور ٧/ ٣٦٢ .

(٦) ذكر ذلك ولم ينسبه : البغوي ٧/ ٢٠٠ ، وابن الجوزي ٧/ ٢٩٦ ، والقرطبي ١٦/ ٤٩ .

(٧) انظر : تفسير البغوي ٧/ ٢٠٠ والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٤٩ .

٥٠. قوله تعالى ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ يريد محمداً ﷺ[١]، كان له أربعة بنين: القاسم والطاهر وعبدالله وإبراهيم، وأربع بنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة[٢].

﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ يريد عيسى ويحيى عليهما السلام، ونحو هذا قال أبو إسحاق ابن بشر[٣]، وهذا يجب أن يكون تمثيلاً لا تخصيصاً لأن اللفظ عام وهذه الأقسام موجودة في غير الأنبياء وهي من حكم الله تعالى في الخلق كلهم قال مقاتل في قوله: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ الآية قال: يولد له بنون وبنات فيجمعهم له[٤]، وهو قول عامة المفسرين إلا ما ذكر عن ابن الحنفية أنه قال هذا في [التام][٥] والظاهر قول العامة[٦].

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي ١٠/ ٧٧أ، وزاد المسير ٧/ ٢٩٦، وتفسير البغوي ٧/ ٢٠٠، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٤٩، وتفسير الوسيط ٤/ ٦٠.

(٢) أما أولاده ﷺ فماتوا وهم أطفال أما بناته: فزينب أكبر بناته، وأول من تزوج منهن ولدت قبل البعثة بمدة قيل إنها عشر سنين، وتزوجها ابن خالتها أبو العاص ابن الربيع، وتوفيت في أول سنة ثمان من الهجرة. انظر: الإصابة ٤/ ٣١٢.
وأما رقية: فكانت أولاً عند عتبة بن أبي لهب، فلما بعث النبي ﷺ أمر أبو لهب ابنه بطلاقها، فتزوجها عثمان. الإصابة ٤/ ٣٠٤.
أما فاطمة؛ فهي أصغرهن سناً وقد تزوجها علي، وقيل انقطع نسل رسول الله ﷺ إلا من فاطمة. الإصابة ٤/ ٣٧٧.
وأما أم كلثوم: فقد اختلف هل هي أصغر أو فاطمة، وتزوجها عثمان بعد موت أختها رقية عنده. انظر: الإصابة ٤/ ٤٨٩.

(٣) أخرج هذا الثعلبي ١٠/ ٧٦ب. عن إسحاق بن بشر فلعل لفظ: (أبو) زيادة من الناسخ.

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٥.

(٥) كذا رسمها في الأصل (التام)، والصحيح (التوأم) كما في الدر المنثور ٧/ ٣٦٢.

(٦) انظر: زاد المسير ٧/ ٢٩٦، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٤٨، وانظر: قول ابن الحنفية في الدر ٧/ ٣٦٢.

قال أبو إسحاق : ويجعل ما يهبه من الولد : ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ ، فمعنى يزوجهم يقرنهم وكل شيء يقترن أحدهما بالآخر فهما زوجان وكل واحد منهما يقال له زوج[١] ، والكناية يزوجهم تعود على الإناث والذكور التي في الآية الأولى ، والمعنى يقرن الإناث والذكور فيجعلهم أزواجاً وهو أن يولد للرجل ذكور وإناث .

قال أبو عبيدة[٢] في هذه الآية : يجعلهم ذكوراً وإناثاً[٣] .

وقال الحسن : يجمع لهم الإناث والذكران[٤] ، وقال مجاهد : يخلط بينهم وهو أن تلد المرأة غلاماً ثم تلد جارية ثم تلد غلاماً ثم تلد جارية[٥] .

قوله تعالى : [. . من يشاء عقيماً][٦] قالوا لا يولد له ، والعقيم يكون من الرجال ومن النساء يقال : رجل عقيم لا يولد له وامرأة عقيم لا تلد ، روى عمرو قال : يقال عُقِمت المرأة تُعقَم عَقْماً وَعَقِمَتْ تَعقَم عَقَماً كلها إذا لم تحمل ، وأصل العقم القطع ومنه قيل : الملك عقيم لأنه يقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق[٧] .

قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ قال ابن عباس : عليم بما خلق قدير على ما يشاء ، أن يخلقه[٨] .

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٤٠٢ .
(٢) في الأصل (عبيدة) وقد سقط لفظ (أبو) .
(٣) انظر : مجاز القرآن ٢/ ٢٠١ .
(٤) ذكر ذلك البغوي ٧/ ٢٠٠ ولم ينسبه ، وذكره في الوسيط ٤/ ٦٠ عن الحسن .
(٥) انظر : زاد المسير ٧/ ٢٩٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٤٨ ، وتفسير مجاهد ٥٩١ .
(٦) كذا في الأصل وقد سقط من الآية لفظ (ويجعل) .
(٧) انظر : تهذيب اللغة (عقم) ١/ ٢٨٨ ، واللسان (عقم) ١٢/ ٤١٢ .
(٨) لم أقف عليه .

٥١. قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ روي في التفسير أن اليهود قالوا للنبي ﷺ ألا نكلم الله وننظر إليه كما كلمه موسى، ونظر إليه فقال رسول الله ﷺ: «لم ينظر موسى إلى الله» وأنزل الله -عز وجل- هذه الآية[1]: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾، قال: يريد الوحي في المنام والإلهام كما كان للأنبياء ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ كما كلم الله موسى، ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ جبريل أو غيره من الملائكة، ﴿فَيُوحِيَ﴾ ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ﴿مَا يَشَآءُ﴾ الله، قال أبو إسحاق: والتفسير أن كلام الله للبشر إما أن يكون بإلهام يلهمهم أو كما كلم موسى -عليه السلام- أو برسالة ملك إليهم، واختلفوا في قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ﴾ يقرأ بالنصب والرفع والرفع قاله سيبويه، وسألت الخليل[2] عن قوله: أو يرسل رسولاً بالنصب فقال: يرسل محمول على أن يوحي هذه التي في قوله أن يكلمه الله إلا بأن يوحي أو أن يرسل ومثله قول الشاعر[3]:

ولولا رِجالٌ من رِزَامٍ أعِزّةٌ وآلُ سُبَيْعٍ أو أَسُوءَكَ عَلْقَمَا

---

(١) ذكر ذلك الثعلبي: من دون سند، انظر: تفسيره ١٠/ ٧٧أ، كما أورده الواحدي في أسباب النزول من دون سند ٣٩٦، وأورده الماوردي: في تفسيره من غير إسناد ٥/ ٢١٢، وكذلك البغوي: من غير إسناد ٧/ ٢٠٠، وقال ابن حجر في الكافي الشاف لم أجده ١٤٦، وكذلك ذكره القرطبي في الجامع ١٦/ ٥٣.

(٢) الذي في معاني القرآن للزَّجَّاج قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله: . . ٤/ ٤٠٣، وانظر: الكتاب ٣/ ٥٠.

(٣) البيت: للحصين بن الحمام بن ربيعة المري الذبياني، شاعر جاهلي مات قبل الإسلام في شعره حكمة، وهو ممن نبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، انظر: الكتاب لسيبويه ٣/ ٤٩، والمحتسب لابن جني ١/ ٣٢٦، واللسان (رزم) ١٢/ ٢٤٠، وشرح أبيات سيبويه ١٦٣، ومعنى البيت: رزام هو ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن مرو بن تميم. أعزة: جمع عزيز، وسبيع: هو ابن عمرو بن فتية. وعلقمة: هو علقمة بن عبيد بن عبد بن فتية. انظر: الكتاب ٣/ ٥٠.

وذلك أنه امتنع أن يحمل الفعل عـلى لولا فأضمر (أن) كأنه قال : لولا ذاك أو لولا أن أسوءك ، قال ويجوز الرفع في يرسل على معنى الحال ، ويكون المعنى : ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو مرسـلاً رسـولاً ، وذلك كلامه إياهم كما تقـول العرب : تحيتك [اضرب][1] وعتابك السـيف وكلامك القتل ، وكما قال الشاعر[2] :

وخـيلٍ قـد دلفـتُ لها بـخـيـلُ تحيّةُ بـيـنـهِم ضـربٌ وجـيعُ

وقد يجوز أن يرفع أو يرسل على أو هو يرسل[3] ، كما قال :

إن تركبوا فَرُكوبُ الخيل عادتُنا أو تَـنْزلـونَ فـإنَّا مَـعْشَرٌ نُـزُلُ[4]

قـال يونس : رفعه على الابتـداء كأنه قال : أو أنتم تنزلـون[5] ، وعلى هذا الوجه الرفع في الآية كأنه قال : أو هو يرسـل هذا كلامه الذي ذكرنا حكاه المبرِّد والزَّجَّاج[6] .

وشرح أبو علي الفارسي هذه الحكاية ، فقال : لا يجوز أن يكون أو يرسـل في قـول من نصب محمولاً على أنه يكلمه ؛ لأنك إن حملته عليها كان المعنى : ما كان لبشر أن يكلمه الله أو أن يرسـل ، وليس يخلو قوله أو يرسل رسولاً من أن يكون المراد به أو يرسله رسـولاً ، أو يكون أو يرسل إليه رسولاً ، ولا يصح واحد من التقديرين ؛ لأنه يصير المعنى : ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو يرسله رسولاً

(١) كذا رسمها في الأصل (اضرب) ، والصيح : الضرب .

(٢) عمـرو بن معدي كرب . انظر : كتاب سـيبويه ٢/ ٣٢٣ ، وشرح المفصـل ٢/ ٨٠ ، وخزانة الأدب ٤/ ٥٣ ، وشرح أبيات سيبويه ١٦٣ .

(٣) إلى هنا انتهى ما نقله عن الزَّجَّاج في معاني القرآن ٤/ ٤٠٣ .

(٤) البيت للأعشى . انظر : ديوانه ٤٨ ، وكتاب سيبويه ٣/ ٥١ ، وخزانة الأدب ٣/ ٦١٢ .

(٥) انظر : الكتاب ٣/ ٥١ .

(٦) انظر : المقتضب للمبرِّد ٢/ ٣٣ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٤٠٣ .

أو يرسل إليه رسولاً ، والتقديران جميعاً فاسدان ؛ لأن كثيراً من البشر قد أرسل رسولاً ، وكثير منهم قد أرسل إليهم رسولاً ، فإذا لم يصح هذا علمت أن المعنى ليس عليه ، والتقدير على غيره وهو ما ذهب [إليه[١] من أن يحمل رسولاً على أن أخرى] غير هذه ، وهي التي دل عليها قوله وحياً ؛ لأن[٢] يوحي ، والوحي [قد يكون][٣] بمعنى : فيصير التقدير : ما كان لبشر ليكلمه الله إلا أن يوحي وحياً أو يرسل رسولاً ، وقوله : إلا وحياً استثناء منقطع ، وإذا كان كذلك لم يجز أن يتعلق (من) في قوله : ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ بقوله : ﴿يُكَلِّمَهُ﴾ ؛ لأن ما قبل الاستثناء لا يعمل في ما بعده ، وذلك لأن حروف الاستثناء في معنى حرف النفي ، ألا ترى أنك إذا قلت : قام القوم إلا زيداً[٤] وكما لا يعمل ما قبل حرف النفي في ما بعده كذلك لا يعمل ما قبل الاستثناء إذا كان كلاماً تاماً في ما بعده ، فإذا لم يجز حمله على يكلم ولم يكن بد من تعليق الجار بشيء أضمرت فعلاً مراداً في المعنى محذوفاً لله للدلالة عليه ، فيكون التقدير ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي إليه أو يكلمه من وراء حجاب ، وحذف يكلمه لأن ذكره قد جرى .

وأما من رفع ﴿يُرْسِلَ﴾ فجعله حالاً ، فيكون قوله : إلا وحياً مصدراً وقع موقع الحال كقولك جئتك ركضاً أو أتيتك عدواً ، ويكون [من][٥] مع ما انجر به في موضع الحال كقوله : ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران :٤٦] بعد قوله :﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ ، فكما أن (من) هاهنا في موضع الحال كذلك في قوله : ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ ، ومعنى ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ في القراءتين والتقديرين في

---

(١) في كتاب : الحجة : زيادة لفظ (الخليل) وبعدها : (من أن يحمل (يرسل) في من نصب على أن أخرى . .) ٦/ ١٣٣ .

(٢) في كتاب : الحجة : بلفظ : (لأن (أن يوحي) .

(٣) كذا في الأصل ، وفي كتاب : الحجة : (قد يكونان) .

(٤) بعدها في كتاب الحجة : (فالمعنى : قام القوم لا زيداً) ٦/ ١٣٤ .

(٥) في كتاب الحجة : (في أنه) ٦/ ١٣٦ .

قوله : إلا وحياً ، يكلمهم غير مجاهر لهم بكلامه يريد أن كلامه يسمع ، ويحدث من حيث لا يرى كما يرى سائر المتكلمين ليس أن ثم حجاباً يفصل موضعاً من موضع فيدل ذلك على تحديد المحجوب ؛ فهو بمنزلة من يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم ، ومن رفع يرسل كان يرسل في موضع نصب بالحال ، ومعنى الآية : هذا [كلامهم إياه][1] كما تقول تحيتك الضرب ، وعتابك السيف[2] ، ليس أن إرسال الرسول كلامه ولكنه جعل من أقسام الكلام حيث وضع بدله كما جعل السيف العتاب ؛ حيث جعل السيف بدلاً من العتاب .

وقال النحاس : الوقف على قوله حجاب ليس بكاف على قول سيبويه وعلى قول يونس الوقف كاف ؛ لأنه جعل ﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ ابتداء على قول من رفع ، وأنشد النحاس احتجاجاً لمن نصب :

لَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرُّ عَيْنِي ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ[3]

والتقدير : لأن ألبس وتقر عيني .

٥٢. قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ قال أبو إسحاق : أي فعلنا في الوحي إليك كما فعلنا بالرسل من قبلك وموضع (كذلك) نصب (بأوحينا)[4] .

---

(١) كذا في الأصل والصحيح (كلامه إياهم) . انظر : الحجة ٦/ ١٣٦ .

(٢) إلى هنا انتهى ما نقله عن أبي علي الفارسي من الحجة .

(٣) انظر : قول النحاس في كتاب القطع والائتناف ٦٤٤ . والبيت : لميسون بنت بحدل زوج معاوية بن أبي سفيان ، وكانت بدوية فضاقت نفسها لما تسري عليها ، فعذلها على ذلك وقال أنت في ملك عظيم وما تدرين قدره وكنت قبل اليوم في العباءة ، فقالت هذا الشعر . انظر : الكتاب ٣/ ٤٥ ، والخزانة ٣/ ٥٩٢ ، وشرح شواهد المغني ٢٢٤ ، والمحتسب ١/ ٣٢٦ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٧٣ ، وكتاب الجمل في النحو للزَّجَّاجي ١٨٧ .

(٤) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٤٠٣ .

وقولـــه : ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ . قال مقاتل : يعني : الوحـــي بأمرنا ، وهو قول الســـدي[١] ، وابن عباس في رواية عطاء ، ومعناه : القـــرآن ؛ لأنه يهتدى به ففيه حياة من موت الكفر[٢] .

قوله تعالى : ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ قبل الوحي : ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ اختلفوا في هـــذا مع إجماع أرباب الأصول على أنه لا يجوز على الرســـل قبل الوحي أن لا يكونـــوا مؤمنين ، فذهب كثير من أهل العلـــم إلى أن المراد بالإيمان هاهنا شرائعه ومعالمه ، وهي كلما يجوز أن يسمى إيماناً ، واختار إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة[٣] هذا القول ، وخصه بالصلاة محتجـــاً من باب حذف المضاف ، فجعل التقديـــر : ولا دعوة الإيمان لأنه كان قبل الوحي ما كان يقدر ما الكتاب ولا أهل الإيمان يعني : من الذي يؤمن ومن الذي لا يؤمن .

وهذا اختيار الحسين بن الفضل .

وجعل أبو العالية التقدير : ولا دعوة الإيمان[٤] ؛ لأنه كان قبل الوحي ما كان يقدر أن يدعو إلى الإيمان بالله ، وذهب بعض أهل المعاني إلى التخصيص بالوقف فقال : المعنى ولا ما الإيمان قبل البلوغ[٥] ، وهذا المذهب هو اختيار شـــيخنا أبي إسحاق الإسفراييني رحمه الله ؛ فقد حكى بعض أصحابنا الكبار أنه سأله عن هذه

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٦ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٤٥ .

(٢) انظر : تفسير الماوردي ٥/ ٢١٢ ، وتفسير البغوي ٧/ ٢٠١ .

(٣) محمد بن إســـحاق بن خزيمة الســـلمي أبـــو بكر ، إمام نيســـابور في عصره ، كان فقيهـــاً مجتهداً عالماً بالحديث ، لقبه الســـبكي بإمام الأئمة ، له ما يقارب ١٤٠ مصنَّفاً ، مات سنة ٣١١هـ . انظر : البداية والنهاية ١١/ ١٤٩ ، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٢٠ .
انظر : صحيح ابن خزيمة :١/ ١٥٨ باب الدليل على أن إقام الصلاة من الإيمان .

(٤) انظر : تفســـير الثعلبي ١٠/ ٧٧ب ، فقد نقل عنه اختيار ابن خزيمة والحسين بن الفضل وأبو العالية ، انظر : تفسير الوسيط ٤/ ٦١ .

(٥) انظر : غرائب التفسير للكرماني ٢/ ١٠٥٧ ، وقال : قبل الاحتلام .

الآية ، فقال : يعني حين كان في المهد ، وقالوا : إن محمداً ﷺ قبل الوحي كان يعبد الله على دين عيسى ، والصحيح أنه كان يعبد الله على دين إبراهيم[١] .

قولـــه تعالى : ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ قال مقاتل : يعني القرآن[٢] ﴿نُورًا﴾ ضياء قال أبو إسحاق : ولم يقل جعلناهما ؛ لأن المعنى ولكن جعلنا الكتاب نوراً ، وهو دليل الإيمان[٣] .

قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال ابن عباس ومقاتل وقتادة : وإنك لتدعوا إلى دين مستقيم[٤] ، والهدى هدى دعوة وبيان .

وقال مجاهد : الصراط المستقيم : كتاب الله[٥] .

قوله تعـــالى : ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ قال مقاتـــل : يعني أمور الخلائق في الآخرة[٦] .

* * *

(١) انظر : تفسير الوسيط ٤/ ٦١ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٦ .

(٣) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٤٠٤ .

(٤) قال الثعلبي في تفسيره : وإنك لتهدي : لترشد وتدعو إلى صراط مستقيم ، انظر : ١٠/ ٧٨أ ، والوسيط ٤/ ٦٢ ، وقال القرطبي ١٦/ ٦٠ : وإنك لتهدي ؛ أي تدعو وترشد ، ولم ينسبه ، انظر : تفسير مقاتل ٣/ ٧٧٦ .

(٥) قال ابن جرير الطبري ١٣/ ٢٧ : الصراط المســتقيم هو الإسلام ، والصراط الثاني ترجمة عن الصراط الأول .

(٦) إلى هنا انتهى الجزء الرابع من المخطوط ، وأول الجزء الخامس سورة الزخرف .